جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات

ترجمة الصفحات من (1 - 51) من كتاب (ما الإسلام)

لمؤلفه : جمال الدين زرابوزو

A Translation of the Pages from (1-51) of the Book Entitled (What is Islam)

By : Jamaal al –Din M.Zarabozo

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة (عربي–إنجليزي)

إعداد الدارس:

غسان حسين موسى إدريس

إشراف:

د.عباس مختار محمد بدوي

2019م

الإهـــــداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وعشيرتي

إلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء للآخرين

إلى كل من علمني حرفاً

أهدي هذا البحث المتواضع

راجياً من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح

الشكر والعرفان

الشكر لله أولاً الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا العمل وأتوجه بالشكر والتقدير **للدكتور/ عباس مختار محمد بدوي** الذي لم يبخل علينا بالنصح والإرشاد في كل صغيرة وكبيرة فيما يخص هذا العمل فله منا كل الشكر والتقديروالاحترام.

والشكر والتقدير لجامعة االسودان للعلوم والتكنولوجيا عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي ولكلية اللغات قسم الترجمة والشكر والتقدير **للأساتذة** لحسن تعاونهم وصبرهم معنا والشكر لكل من قدم لنا النصح والتعاون والإرشاد .

مقدمة المترجم

تشمل هذه الترجمة الصفحات من (1 – 51) من كتاب ما الإسلام لمؤلفه جمال الدين زرابوزو، وإن الحديث عن الإسلام لا يمكن أن يستوفى حقه في هذا المختصر المترجم.

وقد يسأل سائل عن سبب ترجمة هذا الكتاب عن الإسلام ؟ والجواب، ببساطة متمثل بأن نوعية هذا العمل له أهمية كبيرة للباحثين المسلمين وغير المسلمين.

كما يجب الأخذ بعين الإعتبار بأن مصادر هذا العمل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية محصورة بين كتاب الله تعالى وبين سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يجب أن يُرمى أو يُعامل معاملة لا تليق به.

وأسال الله تعالى أن يغفر لي فيما قصرت وأن يهديني الأجر والثواب في هذا العمل المتواضع.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	I
الشكر والعرفان	II
مقدمة المترجم	III
الفهرس	IV
تمهيد	1
المقدمة	2
أسس ومصادر الإسلام	3
الجمهور المقصود بهذا الكتاب	5
الإيمان بالله الخالق الرازق	7
الإيمان بأسماء الله وصفاته	15
الملخص	18
البشر والخلق	21
أصول المساواة بين البشر في الإسلام	27
الدين	29
النبوة	35
حاجة الناس إلى الرسل	39
التبشير بالنبي محمد (ص) في الكتب المقدسة السابقة	44
الإسلام والإيمان	52
الإسلام دين النبي محمد (ص)	54

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم، نثنى عليه، ونحمده حمداً كثيراً ونستعين به ونستغفره ونساله الهداية والرشاد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

في البدء أود أن أخذ هذه السانحة بحمد الله تعالى وشكره على تيسيره لي لكتابة هذا الكتاب القيم وأسله الغفران في ماكان من تقصير في تقديم دينه.

وأودُّ أن أعرب عن إمتناني وشكري لفضيلة الشيخ محمد التركي لدعمه لي بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمركز الدوحة للإرشاد والتوجيه الديني.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى أحمد الراشد جزاء جهده المتواصل، كما أحب أن أتقدم بخالص الشكر لإناس كثرين على ما بذلوه من دعم لي في هذا العمل.

هذات الرجلان المخلصان كانا بمثابة الأداة التي ساعدتني بإخراج وكتابة هذا الملخص بل أيضاً بكتابة النسخة الأصلية التي ريتكز عليها هذا العمل.

وأتقدم أولاً: بالشكر إلى زوجتي الحبيبة التي كانت مصدراً لي من دعم ومساندة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور/ عبد الكريم السعيد والدكتور محمد، والدكتور أحمد الترياقي وأخي نهار الرشيد وأخي جلال عبد الله.

وأساله تعالى أن يجزيهم ويبارك فيهم، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الملخص لكاتب (ما الإسلام) بأنه يحتوى على العديد من التفاصيل والاقتباسات والمرجعيات من النسخ الأصلية الموثقة (القرآن الكريم) – وأن هذه المرجعيات لم تذكر كثيراً في هذا الملخص، وعليه فإن أي قارئ معتم بهذه المرجعيات بأن يرجع إلى النسخ الأصلية أسال الله أن يغفر ويتقبل منى هذا العمل. وأن مثل هذه الكتابات فإنها قد تحتوي على العديد من الأخطاء التي تكون من الكاتب وأسأله تعالى أن يغفر لي تقصيري وأن يهديني سواء السبيل.

جمال الدين زرابوزو

مدينة بولدر، ولاية كولورادو

15 مايو /2006م

المقدمة:

الأهداف والدوافع لكتابة هذا الكتاب:

هذه هي اللحظة التاريخية لكتابة مثل هذا الكتاب المهم جداً بنشر مادة واضحة وموجزة عن الإسلام منها:

أن الإسلام صُوّر بطريقة مشوهة في مناطق عديدة من أنحاء العالم وبالتحديد أولئك الذين لم يدركوا عن الإسلام شيئاً بل تنحصر معرفتهم إياه على ما يرونه بوسائل الإعلام، وعلى خلفية ذلك فإنه ليس من المستغرب بأن هذا الأسلوب من التضليل الذي يحدث للإسلام قد بث سمومه على الرأي العام ، وعليه فإن الحل الأمثل والأفضل لدحر هذا التضليل إنما هو إرشادهؤلاء لناس وتسهيل معرفة الإسلام الحق والاستدلال بالتعاليم الحقة الراسخة بهذا الدين بعيداً عن الدعاية الإعلامية الكاذبة.

فالهدف هنا، ليس بكيفية التعامل مع تلك المعلومات الباطلة عن الإسلام، إنما هو ببساطة محصور على إثبات ما هو الإسلام الحق ؛ والمُرتكز على النسخ الأصلية والمتعارف عليها في الإسلام سواء كان بالقرآن المنُزل من عند الله أو من خلال السنة النبوية لأحاديث وتوجيهات النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

أسس ومصادر الإسلام:

قبل الشروع في الحديث عن الإسلام لابد لنا من أن ندرك المصادر الأساسية حيث أن هنالك مصدرين أساسيين للإسلام، أولهما القرآن الكريم المنزل من المولى عز وجل وآخرهما السنة النبوية التي أنزلت على نبينا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فإن من نعم الله سبحانه وتعالى إلهام نبيه بالقرآن الكريم والسنة النبوية في آن واحد لذلك فإن كل المؤمنين المتمسكين الممارسين للشعائر الدينية يتقبلون ما هو متفق مع تلك المصادر وينقضون ما دون ذلك.

فالقرآن الكريم مختلف عن الإنجيل لأنه لا يحتوي على تلكم القصص التي يسردها الإنسان عن الأنبياء إنما هو منزل من الله عز وجل بواسطة الوحي جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بنفس الصيغة المنزلة على النبي وبنفس منهج القرآن المحفوظ حتى قيام الساعة وهذا إن دلّ فإنما يدل على أنه كتاب الله المنزل المحفوظ في القرآن بدون كلام ونصوص واقتباسات الإنسان أياً كان.

لذلك فإن القرآن إنما هو نسخة واحدة، إنه كلام الله الملامس لقلوب وعقول ونفوس البشر بلغته الفصحية العربية التي تندثر منها جمالية الكلمات، وقد تمت ترجمة القرآن إلى عدة لغات وبرغم ذلك فإنه فلا واحدة من هذه النسخ المترجمة تعتبر كالقرآن الذي أنزل باللغة العربية التي أنزل بها، لذلك فإن كل الصلوات وأغلب الشعائر الدينية تستخدم اللغة العربية التي أُنزل بها.

وكما كان القرآن مصدر للشريعة الأول وأساسها المتين؛ كان لا يمكن التخلى عن المصدر الأساسي الثاني للشريعة المتمثل في السنة النبوية لأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، وأن شرعية السنة لم تكن أبداً باعتبار رسول الله لأنه (ملك) إنما هو بشر كسائر البشر من الأنبياء والمرسلين حيث أن شريعة النبي إنما هي الباب الثاني من

أبواب الخضوع لله عز جل وقد بينها الله تعالى في كتابه (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [1].

لذا فهناك علاقة ذات أهمية كبرى بين القرآن والسنة؛ فالسنة تبين لنا كيفية تطبيق الشرائع التي ذكرت في القرآن وبهذا التضمين الكامل لتعاليم القرآن فإنه نعمة ورحمة وهداية ربانية للإنسان المسلم.

وهكذا فالقرآن والسنة باعتبارها كوحدة واحدة في عرض المبادئ والقيم وتبيان الحق ضرورة لا يستغنى عنها الفرد حتى يأتي الله بأمره وتقوم الساعة[2].

وبالرغم من وجود النصوص العربية الأصلية لكل من القرآن والسنة إلا إنه يجب علينا الاعتماد عند الترجمة على ترجمات دقيقة تنقل المعنى للقارئ غير العربي؛ فبالنسبة للقرآن يمكننا أن نوصى ترجميتن لمعانيه، وهاتان الترجمتان هما المستخدمتان في هذا الملخص: (القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية) ترجمة الهلالي وخان.

والقرآن النص العربي ويقابله المعنى المقابل في اللغة الانجليزية؛ ترجمة صحيح إنترناشوال لذلك فإننا نوصى بهاتين الترجمتين لأنهما قائمتان على فهم القرآن بالصورة التى وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم .أما بالنسبة لكتب السنة فهنالك كتابان موجودان باللغة الانجليزية وهما صحيح البخاري الذي ترجمه (محمد مسلم خان) وصحيح مسلم الذي ترجمه (عبد الحميد صديق).

---

[1] / سورة النساء ، الآية 80.

[2] / إن السنة أو الحديث هي من أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وعند قراءة الكثير عنهما ربما يواجه المرء الكثير من هذه المصطلحات ومن أجل الإلمام الكامل عن هذه المصطلحات فإن (أفعال وأقوال) النبي (ص) ستكون حاضرة في هذا العمل.

الجمهور المقصود لهذا الكتاب:

هذا الكتاب منوط به كل من يريد أن يعرف المقدمات الأساسية عن العقائد والممارسات في الإسلام، كمحاولة لتشجيع القارئ على دراسة الإسلام بصورة عميقة وسوف نوصي بكثير من الكتب المهمة في نهاية هذا الكتاب.

وتجدر الإشارة إلى أنه قبل قراءة هذا الكتاب فإنه يجب معرفة استخدام مفردتي (الله) اسم الجلالة ومفردة (الرب).

لأن اسم الجلالة (الله) إنما هو اسم شخصي لكلمة (الرب) ؛ كأسماء (يهوا) التي تمت ترجمتها لاحقاً لتصبح (يهوذا).

مع ذلك فإن مفردتي اسم الجلالة (الله) و (الرب) سوف يتم استخدامها بصورة متبادلة.

الإيمان بالله:

إن الإيمان بالله في الواقع إنما هو الركن الراسخ في العقيدة الإسلامية كلها، لذلك فكل المعتقدات والممارسات الإسلامية تدور حول العقيدة الصحيحة في الإيمان بالله، وربما لهذا السبب لا نجد أي نظام ديني على الأرض قد صور الإيمان بالله بالصورة التي صورها الإسلام[1].

[1] / يجب على القارئي أن يعلم مرجعية آيات القرآن من حيث : الصورة ورقم الصفحة المتبوعة برقم الآية ومثالاً على لذك فإن (2.16) تعني الآية السادسة عشر للصفحة الثانية من القرآن.

كيف يتمكن الإنسان معرفة ربه:

إن البشر يتمتعون بمفردات عقلية هائلة ومواهب فطرية وهذا لم ينكره الإسلام بل إن الإسلام يقرّ أن الله تعالى خلق البشر وبداخلهم استعداد فطري للاعتراف بإن لهم رباً خالق وفهم تلك الحقيقة.

وإن كثيراً من العلماء لم ولن يستطيعوا إنكار الدلائل والحجج الواضحة على وجود الخالق، لذا فقد قبلوا بفكرة وجوده سبحانه وتعالى وبهذا فإن واحدة من الأسباب التي جعلت من الناس فئة ضالة إنما هو بعدم معرفتهم بالله معرفة قويمة وعدم تعاملهم مع وحي حقيقي من عند الله، وهذا يوضح أهمية معرفة الطريق الصحيح إلى الله. وهذه الأنواع من الأخطاء تبين لنا أنه بجانب الإيمان بالله فإنه يجب على الفرد بأن يعرف العلم الحق عن الإيمان بالله.

ومع ذلك فالذي يجب معرفته بخصوص الله الخالق إنما هو بأن ذات الله سبحانه وتعالى مستقلة تماماً عن خلقه فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا تدركه مفاهيم البشر. ولمعرفة العلاقة بين الإنسان وربه فإنها تكمن بالسعي لمعرفة الله عز وجل من خلال وحيه وإلا فليس هنالك طريق آخر.

فالوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم الذي أُوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أضاء لنا معرفة الله الحقة وبما يزيل كل الشكوك عنه سبحانه وتعالى بقدرته وعلمه جل في علاه، وأيضاً لمعرفة كل الإجابات لكل التساؤلات للفرد لعلاقته مع الله الخالق. هذا فضلاً على أنه أمدّنا برحمة منه سبحانه وتعالى من خلال التعرف عليه من خلال معرفتنا بأسمائه وصفاته، ولذا يصبح الحق تعالى؛ محبوب خلقه وغاية عبادتهم له سبحانه وتعالى ومصدر إلهامهم.

الإيمان بالله الواحد الخالق الرازق:

عندما نقرأ القرآن الكريم، هنالك أمر يتضح لنا جلياً وهو أن الله تعالى يحث البشر بالتفكر في الخلق ولم يكن إبداء أي تعاليم القرآن قد صدت عن التفكير والتأمل العقلاني حيث أن القرآن يدعوا مراراً إلى هذه الأسس باعتبارها الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى نهاية واحدة بأن هذا الخلق لم يكن ليكون لديه وجود إلا بفعل خالق عظيم.

وقد اعطانا الله دليل وحجة لإقناع الناس لقرون كآفية حيث يقول في كتابه الكريم:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ) [1]، وهذه الآية الدامغة كانت واضحة لكثيرين وكثير من الناس بأن هؤلاء الناس لم يأتوا لهذا العالم من لا شئ ولا هم الذين خلقوا أنفسهم وبذلك تكمن حقيقة أنهم مخلوقين بخالق.

وبالإضافة إلى هذا فإن من منظور هذا الوجود يتضح أنه له خالق وأيضاً التوازن والجمال الكوني يدل على وجود الخالق.

إذٍ فالنظام الذي يسير عليه هذا الكون فهو دقيق جداً حتى إنه أحياناً يشار إليه بالتوازن الدقيق للطبيعة. ومن المدهش أيضاً عمل الأشياء مع بعضها البعض بصورة دقيقة ومتناسقة حتى في جسم الإنسان إذا اعتبرناها مثالاً على ذلك، وإلا فلن يكون هنالك أي احتمالية لاستمرار الحياة، وهذه الظاهرة الواضحة تقود إلى عدد من الاستنتاجات المهمة أولها: أن النظام والتناسق بين الجمادات المتنوعة في الكون والتي لم تتدرب أو تتعلم، إنما هي إشارة لخضوعها بخالق، بل ومستوياتها في التكامل والتناسق لتلك الدرجة إشارة إلى أنها تحت سلطة وجود واحدة، لديها معرفة واسعة وقدرة هائلة لتسير هذه الأشياء.

---

[1] / سورة الطور، الآيات 35-36.

ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت الفوضى هي المنطق وخصوصاً المقدار الهائل للذرات والجزئيات التي تكون هذا الكون.

ثانيهما: إنه من الجلي والواضح أن خالق هذا الكون وسيده إنما هو واحد، وأنه من المستحيلات أن يكون هنالك أكثر من خالق واحد لهذا الكون المتناسق وهذا يندرج على النقطة السابقة.

وإذا كان هنالك أكثر من خالق في هذا الكون كُلُ بقدرته وإراداته فإنه لن يكون في هذا الكون هذا التوحد والتوزان والاتساق الذي يظهر لنا الآن وبالتالي فإن نقطة البداية أن لهذا الكون خالق ورازق واحد، وله القوة والجبروت على كل هذا الكون، وهذا إنما هو في طبيعة وفطرة البشر مجتمعة ويمكن التعرف إليه بسهولة ومنطقية.

وحالما يتحقق بأن الله تعالى هو الخالق الرازق لهذا الكون، تأتي أسئلة أخرى، خاصة الأسئلة التي يطرحها الفرد على نفسه ؟

- ما هي علاقتي تجاه الخالق الوحد ؟ وهذا يقودنا مباشرةً إلى الموضوع الذي سنتطرق إليه لاحقاً الا وهو أن الله هو المستحق للعبادة [1].

الإيمان بتوحيد الله تعالى بالعبادة:

إنه من الأمر الجلل إدراك بأن الإيمان بالله الواحد الرازق هو ليس كل ما تتضمنه العقيدة الإسلامية بمفهوم (الإيمان بالله) في الحقيقة إن الاعتراف بهذه الحقيقة إنما هو شئ واضح للجميع وهو شئ كامن في فطرة الخلق.

[1] / قال عمر الأشقر: (منذ سنوات تكشفت الرمال في صحراء الربع الخالي إثر عواصف هبت على المنطقة عن بقايا مدنية كانت مطموسة في الرمال، فحاول العلماء البحث عن محتوياتها أو عن العصر الذي بنيت فيه ولم يتبادر إلى ذهنهم أن هذه المدنية كانت بفعل العوامل الطبيعية من الرياح والأمطار والحرارة والبرودة لا بفعل إنسان.ولو قال بذلك واحد من الناس لعده الناس مخرفاً يستحق الشفقة والرحمة " العقيدة في الله في ضوء الكتاب والسنة" (الرياض: دارالنشر الإسلامية الدولية، 2000م) ،ص 125.

ولكن تأتي القضية المهمة بعد ذلك وهي ما الذي يفعله الفرد بعد ذلك من ناحية الإيمان بالله الخالق الرازق الواحد. ربما سنتطرق لعدد من الأمثلة التي ستوضح لنا ذلك.

أولاً : إن ذات الله الموصوفة بالعظمة وكذلك المعرفة المطلقة؛ لكن وبصورة عامة ما هو موقف الفرد من ذات الله سبحانه وتعالى، فإنه قطعاً سيكون موقف موصوف بالرهبة والإجلال والخشية وعلاوة على ذلك فإن عظمة الخالق لا يمكن أن تقارن بالذين لا يخلِقون.

وفي هذا يقول جل في علاه : (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) [1]. ويقول أيضاً : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [2].

إضافة على ذلك فإن الله سبحانه وتعالى هو أصل النعمة ينزل البركات على عباده. في الواقع هو الذي منّ علينا بالحياة وكل ما سخره فيها لخلقه. ولذلك يقول الله تعالى : (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) سورة ابراهيم الآية 34.

لذلك فهل للبشر إيجاد وتحصيل هذه النعم من غير عونه سبحانه وتعالى، ويقول لنا الله سبحانه وتعالى في مثال آخر (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) [3].

وبعد هذا فهل من المنطقي أن يكون الفرد متكبر ومستخف تجاه الواحد الأحد، بل يجب أن يكون تعاملنا تجاه الله تعامل خضوع واستسلام وحب وإخلاص.

---

[1] / سورة الأعراف، الآية : 191.

[2] / سورة النحل ، الآية 17.

[3] / سورة الأنعام ، الآية 46.

فهذان المثلان لقدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه الذي وسع كل شئ وهو الواحد المتفرد الذي ينعم علينا بالبركات أن يكونا كافيين لإظهار أن الله سبحانه وتعالى له كل الحق في المحبة الخالصة والعبادة له جل في علاه.

ولذلك قد بين الله تعالى في مواطن عديدة في القرآن الكريم أن بعضاً من الناس يعلم بوجود خالق واحد ومع هذا لا يعبدونه والعياذ بالله بل يشتركون ويعبدون آلهة باطلة وأشياء أخرى يتخذونها للعبادة لذلك يقول الله سبحانه وتعالى للمشتركين (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [1].ومن بالغ الأهمية يجب أن نعرف أن الله سبحانه وتعالى بعلمه الواسع هو الذي يهدي إلى الهداية وسواء السبيل؛ وما دونه من آلهة باطله لا ولن تقدر بأن تأتي بهذه الهداية.

ويقول الله سبحانه وتعالى: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [2].وعلى ضوء ما ذُكر آنفاً وعلى عدد كبير من الأدلة والبراهين الواردة في القرآن، لابد للمرء من أن يستنتج أن لا معبود بحق إلا الله، وبهذا فإنه لا إله إلا الله يجب أن يكرس المرء إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا إنما هو ما جاء به الإسلام وهو الجوهر الذي دعت إليه كل الرسل.

ومن هذا المنطلق يجب أن نوضح معنى مصطلح (عبادة) من ناحية المنظور الإسلامي وبهذا فإن اللفظ الذي ترجم إلى اللغة الانجليزية هو (Worship) وهي ليعبد ويعظم ويمكن أن نُعرفها من منظور اللغة الانجليزية بـ (عمل) أفعال تعبدية تعظيماً للإله.

---

[1] / سورة المؤمنون، الآيات 84-85.

[2] / سورة يونس ، الآيات 35-36.

ولكن بلال فيلبس قد ذكر بأن لغة الوحي الأخير (ويقصد بها اللغة العربية) قد استخدم مفردة (عبادة) وهي مشتقة من لفظ (عبد).

والعبادة هنا تعنى بأداء كل ما يريده سيده منه. لذلك فإن معنى عبادة وفقاً للغة الوحي الأخير؛ هي الطاعة والانقياد لأوامر الله عز وجل وهذا ما دعا إليه كل الأنبياء لتبليغ رسالتهم للبشر.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار مثالاً لمعنى العبادة في كلام نبي الله عيسى عليه السلام في انجيل (متى) حيث يقول:

(ليس كل من يقول لي : يا رب يا رب يدخل جنة الرب ولكن الذي يعمل وفقاً لإرادة أبي الذي في السموات) [1].

لذلك فإن معنى توحيد الله والإيمان به وأحقيته بالعبادة يتجاوز مفهوم العبادة الذي يفهمه الغربيون بوجه خاص.

وجاز لنا أن نقول أن تعريف التوحيد من المنظور الإسلامي يشمل إخلاص الأعمال لله وبإيمان القلوب وصحة عمل البدن.

وإن إيمان القلوب يشمل ويتعلق بالتوكل والثقة به سبحانه وتعالى والخشية منه وحده والرضا به رباً وخالقاً جل في علاه[2].

وهناك جانبان على وجه الخصوص لابد من أن يكونا مقترنين مع عبادة الله سبحانه وتعالى. ويذكر الشيخ السعدي : بأن روح وحقيقة العبادة إنما هي بتحقيق الحب

---

[1] / متى 21-7.

[2] / بلال فليبس، الغاية من الخلق، (الشارقة: الإمارات العربية المتحدة : دار الفتح ، 1995)، صفحات (41-42).

والخضوع لله الواحد. لذلك فإن هذا الحب والخضوع الكامل لله فإنه أصل العبادة . وإذا افتقدت العبادة واحدة أو أثنين من هذه الجوانب فإنها ليست العبادة الصحيحة القويمة.

وحقيقة العبادة تكمن في الخضوع والاستسلام لله عز وجل وهذا فقط يحصل إذا كان هنالك حب كامل لله سبحانه وتعالى والذي به يكتمل معنى الإيمان.

ومما سبق ذكره أعلاه يتضح لنا أن الإيمان بالله له معاني عديدة وعلى وجه الحصر؛ بأن هنالك العديد من جوانب الحياة التي تكون خالصة لله وحده، فإن لم تكن كذلك فعندها يفشل الفرد بفهم حقيقة (لا إله إلا الله) وبتوضيح مبسط لهذه الجوانب يمكننا من أن ندرك هذا المفهوم بصورة أوضح.

أولاً: لابد من أن تكون كل الأعمال خالصة لله وحده؛ كالصلاة والصوم والحج والزكاة. وإذا تضرع أحد لغير الله فإن هذا منافي لعبوديته سبحانه وتعالى.

ثانياً: إن الحكم المطلق إنما هو لله وحده، وبمعنى آخر فإن على الفرد أن يخضع لله تعالى ووحيه لأنه الخالق وهو الذي يُشرع الشرائع والأحكام هداية للخلق، فالتجاهل والتكبر المتعمد لهذه الأحكام تعنى عدم الاستسلام الحقيقي لله.

ثالثاً: إن حب المرء وولائه وكُرهه يجب أن يكون في توافق بما أمر الله تعالى، وهذا الجانب ينبع من القلب عندما يمتلئ فعلاً بالإيمان بالله ومحبته وعبادته وحده.

وهذا إنما هو مفهوم بسيط ولكن له معاني بعيدة، بل إن كمال الإيمان يقتضي أن يكون الله تعالى أقرب محبوب لقلب العبد وأن يكون الله تعالى هو محبوب النفس ومرادها وعندما يتشرب هذا المعنى داخل الفرد فإنه يحب ما يحبه محبوبه ويبغض ويكره ما يكرهه[1].

[1] / ذكره محمد الحماد، في كتابه توحيد الألوهية، (دار بن خزيمة، 1414هـ) ،ص 26.

ولهذا فإن الله إذا أحب شيئاً بالرغم من أنه سبحانه وتعالى خلق ذلك الشئ اختباراً للعباد عندها فإن العبد المخلص سيبغض أيضاً ذلك الشئ.

ومع ذلك فإن الإيمان بالله معبوداً واحداً إنما هو جزء مهم من التوحيد الخالص ولكن هذا المفهوم لا يفهم ولا يطبق بالصورة التي ينبغي بها أن يطبق؛ وهذا خسران كبير للناس لأن هذا الجانب من التوحيد إنما هو المفتاح (للحياة الحقيقية) الحياة السلمية والقويمة.

ويذكر ابن تيمية: يجب أن يعلم العبد حاجته إلى الله وأن يعبده ولا يشرك به شيئاً وأنه واحد ليس له آخر وليس له نظير، لذا وفي كثير من الأحيان فإنه كحاجة الجسد إلى الطعام والشراب ولكن بينهما فروق كبيرة، مع ذلك فإن حقيقة المرء تكمن في قلبه وروحه وهذان الأثنان لا صلاح لهما إلا بعلاقتهما مع الله لا إله إلا هو.

وإذا عبد المرء إلهاً غير الله بكامل الحب والمودة له في الحياة الدنيا فهو هلاك لذلك العبد بل أعظم من هلاك التلذذ بأكل الطعام المسموم وتارة أخرى فإنه ليس كافياً بأن الإيمان الحق بالله خالق هذا الكون ورازقه ليس كل ما يقتضيه الإيمان القويم بالله تعالى[1].

وقد حصل ما حصل قديماً أنه قد توقف البشر عند هذا الحد من الإيمان لاعتقادهم بأن هذا هو الإيمان بالله، وأنه لا شئ وراء هذه الحقيقة، ومع ذلك فالإيمان مسألة ضرورية جداً، لكنها ليست كآفية بل يجب أن يكون مع الإيمان علاقات صحيحة قويمة ومشاعر متعلقة بالقلوب وأفعال خالصة لله تعالى وبأداء هذه الأعمال يكون الفرد

[1] / أحمد بن تيمية، مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمعها عبد الرحمن قاسم، وابنه محمد ولا توجد معلومات عن النشر) ، مجلد 1،ص (24-29).

حينها متخذاً الخالق بأنه إله واحد وعندها يكون سبحانه وتعالى هو محبوب العبد وموضع استسلامه وخضوعه.

وأيضاً بأداء هذه الأعمال فالعبد ينكر ويكفر بكل إ'له غير الله المستحق للعبادة وحده بأي شكل كان وبعدئذ سيدرك العبد معنى الإيمان الحق بالله تعالى.

وخلاصة القول وبناءاً على ما ذكر فإنه:

1. يجب أن تكون رغبة المرء متجهة نحو عبادة الله لأنه يملك الكمال والعظمة المطلقة وأنه الواحد الخالق الرازق.
2. أن لله وحده الصفات العلى المذكورة آنفاً وهو المستحق للعبادة وحده.
3. يحُرم على الإنسان أن يتخذ إلهاً غير الله بأي شكل من أشكال العبادة.

وتبقى لنا نقطة أخيرة ومهمة تحتاج إلى توضيح في قسمين:

إن إشارات الإيمان الحقيقي قوية جداً من خلال (الفطرة البشرية) والأشياء المادية المحيطة بنا أو الرسالات المنزلة على الأنبياء عبر القرون.

إذاً فإنه من غير المقبول كلياً سواء كان ذلك منطقياً أو شرعياً أن يعبد الإنسان أحداً غير الله بل إن إشراك آلهة مع الله في العبادة أو الإعراض عن عبادته إنما هو ذنب كبير حيث إن المرء إذا مات على تلك الحالة فلن يغفر الله له[1]، ويقول تعالى في هذا:

---

[1]/ الشرك هو إقران عبادة الله بعبادة غيره من أصنام أو أشجار أو حيوان أو قبور، أو أجرام سماوية أو قوة طبيعية، أو إتخاذ البشر آلهة مع الله أو الزعم أن لله البنات والبنين. طالع طباره،ص 47.

(إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [1].

الإيمان بأسماء الله وصفاته:

إن إخلاص العبودية لله تعالى ومحبته فوق كل ما سواه تقتضي بتحقيق الفرد معرفة بالله تتجاوز معرفة أن الله هو الواحد الخالق الرازق، لذا فإن الله تعالى أخبرنا بالكثير عنه سبحانه رحمةً منه جلّ في علاه وأيضاً معرفته من خلال وحيه، إذاً فإن الباحث عن الحقيقة يمكنه أن يعرف ويعبد ربه من خلال معرفة ثابتة.

وإنها لنعمة وبركة بأن يتعرف المسلمون على أسماء الله وصفاته العلى الوارد ذكرها في القرآن الكريم ويقول الله تعالى في ذلك: (هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّـهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *هُوَ اللَّـهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [2].

بل وإن من خلال القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يمكن للفرد بأن يتعلم ويعرف على أنه الغفور الرحمن الرحيم، التواب الغفور،الصبور،العفو ،الودود الكريم، الكبير، الرؤوف، وهو الطيف الذي تيطلف بقبول دعوات العباد، وهو العظيم المجيد المستحق للحمد والثناء من كل المخلوقات، إنه الله مالك الحساب ومالك يوم الدين وهو السميع، البصير، العليم، الحكيم، القوي، القادر، العظيم الغني، المنزه عن الاحتياج وهو العلي الجليل الحافظ، الرقيب، المهيمن على كل الخلق وهو الذي يأمر وينهى ويرضى ويغضب ، ويجازي ويعاقب، ويعز ويذل، وهو الذي يفعل ما يشاء ، وهو

---

[1]/ سورة النساء الآية 48.

[2] / سورة الحشر ، الآيات/ 23-24.

الموصوف بكل صفات الكمال والمنزه من كل منقصة وهو فوق كلما يشركون وليس هنالك ذرة تتحرك إلا بإذنه جل في علاه.

إن معرفة الله تعالى بهذه الصفات إنما هي بركة وفضل للناس آجمعين، وهذه المعرفة تتيح للفرد عدم ضلاله وارتباكه لمعرفة الله. وبهذا القدر نجد أن هنالك شئ جلي وبينّ في القرآن على أنه لا يوجد إطلاقاً أي أثر من أنواع التشبيه في المعتقدات الإسلامية عن الله وهذه النقطة (للتشبيه) قد ضل فيها كثير من الناس في تلك الأيام المبكرة.

إذاً فالخالق والمخلوق مختلفين ومنفصلين تماماً وإن صفات الله تعالى إنما هي صفات عظيمة تجسد وتبين قداسته وعظمته بالرغم من وجود (مفهوم مشترك) بين صفات الله وصفة من صفات البشر إلا أنه في الواقع لا يوجد تشابه بين الخالق والمخلوق.

لذلك فقد مختلفين ومنفصلين تماماً وإن صفات الله تعالى إنما هي صفات عظيمة تجسد وتبين قداسته وعظمته بالرغم من وجود (مفهوم مشترك) بين صفات الله وصفة من صفات البشر إلا أنه في الواقع لا يوجد تشابه بين الخالق والمخلوق[1].

لذلك فقد قال الله تعالى في القرآن : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [2]. وفي هذه الآية السابق ذكرها أنها قد أوضحت إنكارها التام لتشبيه الله وأنها في ذات اللحظة تؤكد أن الله تعالى هو السميع والبصير.

فالمسلم يعرف يقيناً بكامل الله تعالى وأنه لا ينقص من قدره بوصفه بصفات وأسماء لا تُليق به، فالله تعالى ليس له صفات كصفات البشر، والبشر ليس لديهم صفات كصفات الله، وأي انتهاك لهذا المبدأ الأخير إنما هو كفر واضح وشرك بالله تعالى، ومن

---

[1]/ المسلم دائماً يذكر ربه خاصة بهاتين الصفتين، فقبل الشروع في أي عمل يقول المسلم: " بسم الله الرحمن الرحيم".

[2] / سورة الشورى، الآية 11.

المعلوم أنه على مر التاريخ الإنساني أجمع؛ بأن الإنسان قد فطر على العبادة فهم يرغبون بأن يكون لهم رباً يعبدوه ويبجلوه، مع العلم أن يكون ذلك الإله خاص وعظيم لهم والذي يكنون له كل الخضوع ومع ذلك فإن الكثير منهم قد وضع آماله وثقتهم وأحلامهم على أشياء لا تستحق الإجلال والعبادة، سواء كانت من قوى الطبيع، الجمادات، الآدميين المادة، القوميات، الجنس أو غير ذلك وأنهم قد أجبروا أنفسهم بان تلك الأشياء الباطلة للعابدة يمكن أن تحقق مبتغاهم وما يحلمون به؛ وبمعنى آخر فقد أعطوا تلك الآلهة الباطلة صفات لا تنبغي إلا لله.

وعوضاً عن التعرف على الله وصفاته ومن ثم معرفته المعرفة الحقة بأن الواحد الذي يبحثون عنه، فقد اتجهوا إلى أشياء أخرى يعدونها ويحبونها ويبجلوها؛ والسبب في ذلك لأنهم ضلوا كثيراً عن الطريق المستقيم وعن الإله الواحد المستحق للعبادة.

وفي مواضع عديدة فإن الله تعالى قد أوضح مثل هذه الضلالات والتي مصدرها الإيمان الباطل بصفات من يعبدونهم، وجهلهم لضفات الله تعالى وبرهان على هذا فقد قال الله تعالى: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [1].

ويقول تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ *وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)[2].

لهذا وخلاصة القول إن الفرد إذا علم وأدرك بأسماء الله وصفاته العلا فإنه لا يلتفت إلى عبادة تلك الأشياء الباطلة فإنها لا تزيده إلا خسارا ،والأسوأ من هذا في أنهم يجهلون حق الله عليهم ويعدلون به شركاء آخرين مكتسبين غضبه وعذابه الأليم.

---

[1] / سورة المآئدة ، الآية 76.

[2] / سورة الأحقاف، الآيات 6-7.

الملخص

إن الإيمان الراسخ بالله هو الجوهر للعقيدة الإسلامية وحجر أساسها فهو المفتاح للحياة السعيدة ومفتاح فهم الحقيقة ومفتاح السعادة والأمان.

وعندما يعرف الفرد ربه معرفة قويمة عندها يدرك أن لا معنى للعبادة إلا بالله تعالى ويدرك يقنياً أن نفسه خلقت لعبادة الواحد الأحد وهذا هو ما يصبو إليه؛ وحينما يحظى بلذة عبادة الله وحده؛ عندها لا ترغب نفسه لعبادة أحد غير الله لأن روحه قد سكنت وقلبه قد إطمئن.

البشر والكون:

خلق الكون وكيف يلفت على وجود الله تعالى.

إن هذا الكون قد خُلق من أجزاء منوعة، فمنها المجرات والأنظمة الشمسية الموجودة فوق الأرض؛ ففي الأرض؛ هنالك الجمادات كالجبال والمحيطات واليابسة وأيضاً مملكة الحيوانات ذات التنوع الكبير.

وهنالك أنواع من المخلوقات التي لا زال البشر يكتشفونها حتى اليوم ولكن هذا يدل على الخلق الإبداعي لله، ففي القرآن الكريم كان من الجليّ خلق الله للسموات والأرض.

وفي مواطن عديدة من آيات القرآن الكريم يُشير الله تعالى إلى اختلاف جوانب هذا الخلق ويصفها بأنها آيات لأولى الألباب.

حيث يقول تعالى في هذا (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [1].

وفي هذا الوسط من الضجيج الذي نعيشه في هذا العالم قلّما يجد الشخص فرصة للتأمل

[1] / سورة النساء ، الآية 164.

في هذا الكون وفي سبب وجوده ومن السبب في هذا الوجود.

مع ذلك فإنه من الأجدر والأفضل أن يأخذ المرء وقتاً للتفكر والتأمل؛ وحالما يفعلون هذا سيجدون الدلائل والعبر التي من شأنها ان تقودهم إلى الطريق القويم بل إن أهم شئ في حياتهم أن تلك الدلائل محيطة بهم لو تأملوها ويقول الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [1].

إن التفكر في التعقيد والنظام لهذا الكون يجعل الفرد يعلم أن هنالك غاية وراء هذا الخلق ولا يتصور إطلاقاً ان يخلق احداً مثل هذه الدقة والكمال ثم لا يوجد بعد هذا الخلق هدف أو غاية.

ولذلك فقد أشار الله تعالى في العديد من الآيات إذ يقول تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) سورة الأنياء، الآية 16.

إن الحُجة القرآنية تتمحور على أنه من المستحيل ومن غير المنطقي بأن يأتي الفرد نتيجة مغاييره . فإذا كان الفرد يؤمن بالله الخالق، فإنه لا يليق بهذا الخالق العظيم الكريم أن يخلق هذا الجمال وهذا الانسجام من دون أن يكون هنالك غرض لهذا الخلق، إن من يؤمن بالخالق وفي الوقت نفسه يؤمن بأن هذا الخالق ليس له هدف من هذا الخلق فإنه في الحقيقة يصف الخالق بعدم الحكمة. إن الذي خلق هذا وصفه صعب جداً أن يكون قد أوجد هذا الخلق العظيم الذي يراه كل إنسان اليوم.

في الواقع إن هذا الوجود يشير إلى عظمة صفات الخالق وكذلك إلى وجود غاية مهمة لهذا الوجود باكمله بل إن طبيعة الوجود تشير إلى وجود الخالق، وأنه لم يخلق شيئاً بهذه الصورة لهواً أو لغير سبب.

والنتيجة المهمة الثانية في أنه يمكن للمرء أن يقوده تأمل بسيط إلى هذا الخلق ومن ثم فإن الذي خلق هذا فإنه قادر على أن يخلقه تارة أخرى ما بين الكاف والنون. وإذا كانت

[1] / سورة فصلت ، الآية 53.

لديه القدرة على بعثه بعد الموت، فهذا يعنى قدرته أيضاً على جعله ماثلاً بين يديه.

ومن الواضح أن هذه الفكرة على البشر وسلوكهم في هذه الدنيا لها تداعيات مثيرة، فإن الله تعالى يشير إلى هذه الحقيقة ويذكرهم بما جاء في القرآن الكريم إذ يقول : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ *قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ *أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ *إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [1].

لذلك فإن هذا الخلق له إشارة واضحة على حقيقة أن هنالك غاية لوجوده البعث، وأن مفهوم البعث لا يعارض طبيعة الفطرة بل هو شق معها.

إن من يكفر بالبعث يظن أن الله سيجعل الصالحين كالطالحين وهذا أمر لا يليق به سبحانه وتعالى، وقد أوضح الله لنا بأن هذا ليس هو الحال موضحاً إلى أن هذا الظن يأتي لمن لا يؤمنون بالله ويقول تعالى في ذلك : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ* أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) [2].

وبعد هذه الدلائل الكثيرة المتعلقة بمسألة الخلق والدورس والعبر المنزلة عبر الوحي ينبغي للفرد أن يسأل: ماذا سيكون عذر الإنسان إذا لم يستجب إلى تلك الدلائل المحيطة به ؟

[1] / سورة يس ، الآيات 78-83.

[2] / سورة ص ، الآيات 27-28.

البشر والخلق

هنالك بعضاً من المميزات والخصائص التي تتجلى في هذا الكائن المُسمى بالإنسان؛ مع ذلك فإن صورة التكوين المادية لأولى المخلوقات وهي " الإنسان" لم تختلف بصورة كبيرة عن غيره من المخلوقات الموجودة في عالمنا اليوم.

ووفقاً لما جاء في القرآن فإن خلق الإنسان الأول في آدم عليه السلام كان من الطين والماء وهما عنصرين أساسين لهذا الكون الذي نعيش فيه.

ولم يحصل الإنسان الأول (آدم) عليه السلام، على المميزات والخصائص التي حباه الله بها إلا في مرحلة تالية. وهي المرحلة التي أصبح فيها هذا الكائن مخلوقاص مستقلاً ذو صفات فريدة تجمع بين الجانب المادي والجانب الروحي الذي أنعم الله بها عليه.

وفي الواقع إن هذا الذي حدث قد جعلهم مختلفين ومميزين من الكائنات الأخرى التي تعيش في هذا الكون.

وإنّ بين أغلب السمات المميزة لبني الإنسان هي:

1. الفطرة الصحيحة التي من شأنها تقود الإنسان إلى عبادة الله وحده وأن يكون قادراً على إدراك أن الله تعالى إنما هو إله واحد وهو المستحق للعبادة في هذا الكون.
2. القدرة على فهم وإدراك الأشياء بواسطة العقل الذي منّ الله به علينا.
3. حرية الإختيار بين طريق الحق وطريق الضلال والحرية المحدودة في إتخاذ القرار الذي يريده.
4. تحمّل مسؤولية القرارات التي يتخذها وذلك لأنه يتمتع بحرية الإختيار بل وتنفيذها.

وبكل هذه المميزات التي حباها الله لنا فإنه يجب على الإنسان أن يدرك الغرض السامي له في هذه الحياة ألا وهو عبادة الله وحده.

لذلك فإن في خلق البشر والصفات والمميزات التي يمتلكونها والتي أنعم الله بها عليهم؛ كفيلة بأن تجعل الفرد يدرك أن ذات الله سبحانه وتعالى تتصف بالحكمة والعظمة من أن يخلقه عبثاً.

إذ يقول تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)[1]. في الواقع إنه الخالق العظيم الذي خلق البشر وكل هذه المخلوقات.

فمن جانب البشر فإنه تعالى ألهمهم الهداية وفعل ما يجب فعله والإنتهاء عن فعله وكذلك الحيوانات التي ألهمها طرق النجاة، لذلك يقول الله تعالى : (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) [2].

لذلك يجب على الإنسان أن يدرك أن كل ما يقوم به من أفعال في حياته فإن له تأثير عليه، وبهذا المعنى فإن كل أفعاله لها قيمة ولها عواقب، لذلك فإن حياة الإنسان لها هدف وغاية في هذه الحياة وأن الله تعالى مطلع ومدرك تماماً على أفعال البشر ونواياهم وسكناتهم.

وأنه لأمر جلل أن يدرك الإنسان أن له هدف في هذه الحياة، وبعد إدراك هذه الحقيقة يكون قد تخطى أول مرحلة في حياته والتي بعدها ينتهي به المطاف عند خالقه العظيم جلّ في علاه ويخضع له بإرادته.

---

[1] / سورة آل عمران، الآية:115.

[2] / سورة القيامة، الآية : 36.

وإذا لم يدرك الفرد هذه الحقيقة فلا معنى ولا حاجة ولا هدف أن يتبع أسلوب حياة معينة، وأيضاً إن لم يستوعب الإنسان أن من الأفعال ما هو على خير وما هو على شر وتساوي عنده الشيئان ولم يؤمن بوجود رب أو هدف من هذه الحياة فله أن يفعل ما يشاء.

وسيكون لزاماً من عظمة وأثر كبير عندما تنفتح عينا المرء على حقيقة الخلق وعلى الهدف من وجوده في هذه الحياة ودوره فيها.

وقد حدث لكاتب هذا الكتاب تجربة شخصية بالعمل في سجون الولايات المتحدة، وقد سأل السجناء عن سبب إرتكابهم للجرائم وكانت إجاباتهم المعتادة " ولما لا نرتكبها".

لذلك فإن السؤال الوحيد الذي يسيطر هو هل تستطيع أن ترتكب الجريمة دون أن يتم الإمساك بك ولم يكن لديهم أي شكوى تجاه الخالق أو أي هدف من هذه الحياة وفي الحقيقة لا ينبغي لمرء أن يجادلهم في طريقة تفكيرهم إذا كانوا أغبياء لهذا الحد ليؤمنوا أن هذه الحياة لا قيمة لها ولا هدف ورائها.

ومن الأفكار المنافية للمعتقدات الإسلامية بأن البعض يعتقد ببساطة إن الإنسان ما هو إلا كائن إنحدر من الحيوانات، من ثم تطور، وتشير هذه الفكرة إلى أن الإنسان ما هو إلا نتيجة أفرزتها عدة مضاعفات لعملية ما تكون من عناصر مادية فضلاً عن إنحدارهم من الحيوانات بصورة مباشرة وأن حيوان القرد هو أقرب الحيوانات إليهم نسباً متجاهلين حقيقة أن هنالك " حلقات مفقودة" في هذه النظرية وبالإضافة إلى الشكوك العلمية التي أثيرت ضد نظرية التطور[1].

[1] / وفقاً للعقيدة الإسلامية لم يكن الشيطان " ملكاً آثماً" فالملائكة لا تعصي ربها كالشياطين لأن هذه ليست فطرتها أما الشيطان فهو جنس آخر من المخلوقات يعرف بالجن.

هل يمكن لهذه النظرية الواهية أن تكون جزءاً من هذا الكون العظيم ؟

هل يمكن للبشر الذين يتمتعون بكل هذه القدرات والخصائص الفردية التي تميزه عن سائر المخلوقات لا شئ سوى حيوان، ولا يوجد هدف جاء لأجله في هذه الدنيا ولا يوجد إله يرجع إليه ؟

في الواقع إن هذا الرأي ينعدم منه المنطق كما أن له عواقب وخيمة.

وهنالك بعضاً من الناس من يؤمن أن الإنسان بطبيعة نفسه تميل إلى الشر وهذا مخالف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة،فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) [1]. وهذا يبين لنا أنه من المستحيل أن تنزوي النفس البشرية على الشر حيث أن كل مولود يولد على الدين الحق ولا تتحول نفس البشر أو تتأثر إلا بعد إختلاطه بالأسرة والمجتمع والبيئة التي تحيط بها – وعندها سيتأثر ويسلك طريق الضلال.

وأما النصارى فهم يؤمنون بما يسمى (الخطيئة الأصلية) ومعنى هذا الإعتقاد أن الإنسان الأول آدم عليه السلام أورث خطيئته التي أرتكبها إلى جميع نسله، وهذا يعنى أن كل إنسان معلق في رقبته خطيئة لم يرتكبها حتى وإن كان طفلاً.

كما يعتقدون أن هذه الخطيئة لا يمحوها سوى نزول ابن الرب وتعذيبه للناس تكفيراً عن هذه الخطيئة. وهذا الإعتقاد مع التوحيد في الإسلام خاصة الجزء الذي يتعلق بابن الإله، فالرب لا ولد له ولا ند له ولا مثيل له ولا قرين له.

---

[1]/ رواه البخاري ومسلم.

ومن المفهوم الإسلامي فإن كلاً من آدم وحواء ارتكبا الخطيئة معاً وقد أزلهما الشيطان وبعد ذلك تابا وتاب الله عليهما وبذلك مُحيت الخطيئة.كما أنه لا يوجد أي وجه من أوجه المنطق بأن البشر يتوارثون هذه الخطيئة وهذا ناهيك على أنها ظلمُ كبير لأن الله تعالى لا يأخذ الناس بذنوب غيرهم.

يقول تعالى : (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [1].

لذلك فإن مفهوم الخطيئة الأصلية إنما هو مفهوم باطل بغض النظر عن ما يترتب عليه من عواقب وخيمة؛ بغض النظر أي أنه يعطي إنطباعاً خاطئاً عن ذات الله المتعلقة بالعدل بالإضافة إلى أنه يرسخ مفهوم الشر الذي يعتقد البعض أنه كامن في نفوس البشر[2].

لذلك فمفهوم الإسلام للروح ورغباتها إنما هي بسجيتها بعيدة كل البعد عن وجهات النظر المذكورة آنفاً وأيضاً بعيدة عن كل المعتقدات الباطلة فهذه المعتقدات تغير الإنسان عن دوره الذي خلق له فيبقى هنالك نظام واحد يوضح حقيقة البشر، نظام كوني مكتمل ومذكراً بأن هذا الكون لم يخلق صدفة.

تكريم البشر:

لقد خلق الله بنى آدم الذين لا يتصفون أبداً بصفات الإلوهية فهم لا يشاركون الرب بأي صفة وهذا يشمل جميع البشر؛ وليس هنالك من يدعي بالمعنى الحفري بأنه ابن الله أو إبنته. كما ينبغي لكل مخلوق أن يدرك أنه ليس أعظم وأكبر خلق الله.

---

[1] / سورة الأنعام،الآية: 164.

[2] / في الواقع إن في المعتقدات الإسلامية كلاً من آدم وحواء ارتكبا الخطيئة الأصلية معاً وتاباً معاً وتاب الله عنهما.

فالله تعالى يقول : (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [1].

وإن تفكر الإنسان في مدى ضآلة حجمه بين خلق الله العظيم يدفع النفس للتواضع ولكن وفي ذات الوقت نجد أن الله تعالة قد كرم الإنسان بأشياء كثيرة وفضله على الخلق تفضيلاً.

في الواقع أن الإنسان يملك قوتين كامنتين بداخله وهذه حقيقة ثابتة منذ أن خلق الله تعالى الإنسان الأول. فلما خلق الله آدم أمر الملائكة بالسجود له، وهذه الملائكة تكون بمثابة قوى روحانية أوكلها الله دوماً إلى جانب الإنسان كي تسانده في فعل الخير وفي الوقت ذاته يوجد الشيطان الذي أقسم بعزة الله أن يكون عدواً للإنسان وأن يغوي ما يستطيع منهم، فهذان المثالان موجودان أمام الإنسان، والإنسان حُر في أن يسمو بنفسه إلى أعلى المراتب أو أن يردي نفسه في أسفل المراتب.

في الواقع أن الهدف السامي لهذه الحياة إنما هو عبادة الله وابتغاء مرضاته وليس ثمة هدف ف البشرية أجمع أسمى من يكون العبد مخلصاً لله تعالى.

فتحقيق العبودية لله إنما هي الغاية الوحيدة التي تفضى إلى الراحة الحقيقية لنفس الإنسان، لأنها مستقرة في أعماق قلبه.

إذن فالطريق إلى السمو والعظمة والرفعة يتمثل في عبادة الله تعالى وليس وراء ذلك من سمو ورفعة، لذا فإنها أسمى المراتب، وهذا مما يجب أن يكون جلياً لنا. وكلما تحرك الإنسان لتلك الغاية وهي الخضوع لله الإله الواحد الحق وعبده فإن يشعر بسعادة أكبر وسمو أعلى. وعندما يدرك المرء ذلك فعليه أن يزيد من جهده ليحصل على درجة قصوى من هذه القوة الكامنة لديه.

---

[1] / سورة غافر، الآية :57.

وعندما يدرك الإنسان أن لديه هدفاً واحداً واضحاً فإنه يكون بهذا مزيداً من الأثر في أعماق نفسه فلا يكون في حاجة إلى الركض وراء سلسلة لا تنتهي من أهداف لا يستطيع أن يحقق أو أن يشبع أي منها(فكثيراً ما تتعارض أهداف الناس ولا يستطيعون تحقيقها جميعها).

وبالرغم من أن هذا الهدف المتمثل في العبادة هو الغرض الوحيد للبشرية فالله جلّ في علاه غنيٌّ عن عبادته .

فإذا كان كذلك فمن الذي تنفعه عبادة الله ؟ إنه الإنسان نفسه فيحصل بها تزكية النفس وطمأنينة القلب وتقوي علاقتة وصلته بربه.

ويذكرنا الله تعالى بذلك في عدة مواضع في القرآن إذ يقول تعالى: (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [1].

أصول المساواة بين البشر في الإسلام:

لقد حسم الإسلام بتعاليمه هذه القضية التي لا تزال المجتمعات الحديثة تتخبط فيها ألا وهي المساواة الأساسية بين كآفة البشر.

فكل البشر قد خلقهم الله تعالى وكل منهم له القدرة على الترقي والسمو إلى القمة البشرية عن طريق العبودية لله تعالى والاستسلام له فلا تمييز بين البشر أنفسهم أمام الله وأمام القانون والمجتمع، وليس للعرق أو اللون أو الجنس دور في هذا التمايز إذ يقول الله

[1] / سورة الإسراء، الآية :15.

تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [1].

وقد بين لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال تعاليم القرآن إذ قال في خطبة الوداع : (يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم فأشهد) [2].

فليس الغرض من وراء هذا الإختلاف الشقاق والتناحر بين الناس بل المقصود منه الدلالة على عظمة الخالق إذ يقول تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) [3].

لذلك فإن الطريق للعبودية لله إنما هي ميسرة لكل فرد بغض النظر عن العرق والجنس أو غيره، إنه طريق واحد لا غير وهو طريق العبودية لله سبحانه وتعالى وبه يكون الشرف والإجلال والفضائل وهذه عقيدة من عقائد الإسلام.

وأيضاً فإن المساواة بين البشر التي تشمل الذكر والأنثى فإنما هي مساواة جوهرية بغض النظر عن الإشاعات التي يسمعها المرء عن الإسلام.

ومن حيثية خلق الرجل والمرأة فإنهما سيان عند الله تعالى ولا فرق بينهما وكلاهما قادرين على تحقيق العبودية لله تعالى؛ إذ يقول الله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [4].

---

[1] / سورة الحجرات، الآية 13.

[2] / رواه مسلم.

[3] / سورة الروم ، الآية: 22.

[4] / سورة النحل، الآية: 97 .

ومن المعلوم أن الإسلام أعطى المرأة حقوق عديدة لم تحصل عليها المرأة الغربية إلا في وقت قريب كحق الملكية ومزاولة شئون أعمالها التجارية وعلاوة على ذلك فإن أي أيدولوجية أو دين أو ثقافة تقدر بعض الأمور أكثر من بعض. وكما هو واضح فإن أهم منزلة في الإسلام إنما هي التقوى والطاعة لله تعالى.

وربما بعدها مرحلة التفقه في الدين وفي هذه الجوانب فإن المرأة مساوية للرجل.

وعلى ضوء تاريخ الإسلام فقد عُرفت نساء بالتقوى والعلم ومن جهة أخرى فإن الإسلام لا يقيس المرء على قدر جمال وجهه أو بإظهار جسده أو سرعة ركضه الرياضية أو حُسن غناءه أو رقصه أو آدابه لذلك فإن هذه معايير سخيفة في نظر الإسلام لتقييم الشخص على الرغم من أنها تكون من الأطر الكبيرة للحضارة الحديثة.

وخلاصة القول فإن المرأة تساوي الرجل تماماً بالنسبة للأمور التي لها مرتبة عظمى في الحياة ألا وهي التقوى والعلم بالدين،وهذا ما يثبت المساواة وفق منظومة المعايير الإسلامية. [1].

الدين:

قد ناقشنا قضية الخلق والبشر بشئ من التفصيل، وقد آن الوقت لنناقش قضية الدين نفسه إضافة إلى الأسس التي يقبل عليها هذا الدين.

البشر وحاجتهم إلى الدين:

يمر العالم الآن في مرحلة مادية عظيمة، ويبدو أن العلم قد غزا الطبيعة وأنه لا حاجة إلى الدين والخرافات التي كانت قديماً.

---

[1] / أحمد بن تيمية ، كتاب العبودية لابن تيمية، (بريمنجيهام، المملكة المتحدة: الهداية للنشر والتوزيع، 1999م) ص 121.

ومع ذلك فإن الدين لم يندثر إذ كان للدين في وقتنا الحالي الربوع العظيم في كآفة أنحاء العالم.

وقد كان في نصوص القرآن الكريم والسنة الأثر الواضح بأن الدين أنه شئ في طبيعة البشر وقد خلق الله تعالى الخلق وجعل فيهم فطرة تتوق إلى عبادته ومعرفته تعالى ويقول صلى الله عليه وسلم : (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...) [1].

ومن خلال الحديث هنالك توضيح بأن الشياطين ربما تحاول بشتى الطرق أن تخفي وتعمي الفطرة الموجودة في البشر ولكنهم لا يستطيعون القضاء على ما هو في أعماق نفوسهم.

وبالأحرى فإنهم إذا استطاعوا أن يقضوا على هذا الميل الفطري في بعض البشر فإنهم لن يستطيعوا أن يقضوا عليه في جميع البشر.

ومع ذلك سنجد على الأقل بعض البشر إذا لم يكن الأغلبية يؤمنون بالله ودينه المتمثل في مجموعة العقائد والشرائع العملية التي شرعها لعباده. وأنه ليس من قبيل الصدفة أن نجد كل قوم لديهم بعض أشكال الدين وبعض الإيمان الملموس بالإله صاحب العظمة المطلقة.

وهنالك أمر لا يستطيع الماديون إنكاره في هذا العالم وهو أن الإنسان يتكون من مكون مادي ومكون غير مادي يسمى النفس أو الجانب الروحي للإنسان، حيث يستطيع الماديون ووسائل الراحة المادية أن تتعامل فقط من الجانب المادي للإنسان؛ لكنهم لا

[1] / صحيح مختصر مسلم، ص 162.

يستطيعون مساعدة الجانب الروحي الشاسع للإنسان وبذلك فإنهم يتركون فراغاً في روحه وعقله، وعندما يشعر الإنسان بهذا الفراغ يشعر بأن شيئاً خطأ قد حدث له، فيبحث عن شئ يملأ به هذا الفراغ.

وبرغم لجوء هذا الإنسان إلى أشياء أكثر مادية أو إلى أنواع مختلفة من الأشياء المادية (كالخمر والمخدرات) إلا أن هذه الأشياء لن تستطيع ملء هذا الفراغ في حياته.

وعليه فإنه إذا تخلى الإنسان عن هذه الدعايات المادية التي حوله اليوم فإنه سيدرك حتماً أن الذي يفتقده في حياته وقلبه هو الله والدين[1].

وقد كتب العالم الإسلامي الشهير ابن تيمية بأن : (القلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه له والإنابة إليه ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة).

وإن هذا الكلام لابن تيمية تدعمه آيات من القرآن إذ يقول الله تعالى: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [2].

ويقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [3].

إن الحياة الحقيقية والوحيدة التي تستحق العيش فيها هي الحياة التي يدعونا إليها الله ورسوله لأن فيها حياة القلب وخلاصه ولأنها تخلصه من أن يكون عبداً للأهواء

---

[1] / في الطبعة الكاملة لنسخة كتاب (مقارنة الإسلام بين اليهودية والمسيحية) ،ص 42.

[2] / سورة الرعد، الآية : 28.

[3] / سورة الأنفال، الآية : 24.

والشهوات والشبهات وأنها الحياة الحقيقية للعقل لأنها تحرره من الجهل والشك والحيرة وأنها الحياة الحقيقية للإنسان نفسه إذ تخلصه من عبودية البشر والأيديولوجيات وأنها تقوده إلى عبادة الله وحده .. والتي هي الغاية المطلقة التي تعرفها نفسه وتهفو إليها.

وهذا هو مصدر عزته وكرامته والغرض الذي من أجله خُلق وأنها الحياة الحقيقية لأن مصيرها النعيم الخالد والسعادة الأبدية في جنات الخلد مع الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

معايير الدين الحق:

إذا أمعنا النظر في التاريخ البشري، سنرى أن البشر لديهم رغبة في الدين. وأيضاً يظهر لنا جلياً أن كل دين يعرض نفسه على أنه الدين الحق والذي تكون به الراحة للفرد.

ويعرض لنا المؤلف أربعة معايير يمكن للفرد أن يرى من خلالها الدين الحق:

- أولها: أن يكون المصدر الأصلي لهذا الدين الله وكما ذكرنا سابقاً أنه لا يجب على الفرد أن يجسد ذات الله الإلهية.
- ولا أحد يعلم طريق عبادته إلا به. وعلى الرغم من أن البشر قادرون للوضول إلى استنتاجات كثيرة سليمة عن الرب، لكن لا يستطيع إنسان أن يدعي بعقله؛ بعيداً عن وحي ربه أنه إكتشف الطريقة التي بها يعبد الرب والسبيل الذي يرضيه.

فإذا كان إرضاء الرب وعبادته كما يريد وهي الغاية المطلقة في سبيل الإنسان إذاً فلا سبيل للإنسان إلا أن يلجأ إليه للهداية والتوفيق.

وعلى خلفية ما سبق ذكره لهذه المقدمة المنطقية الأولى فإن أي دين من صنع البشر لا يمكن منطقياً أن يكون بديلاً، فإذا حاول البشر بشتى الطرق أن يجزموا عن كيفية عبادة الله فلن يستطيعوا.

والمعيار لا يعني أن الرب له وقت ودور في تكوين الدين وإنما المعيار أن مجال وتعاليم الدين كلها تأتي من عند الله.

وقد أنزل الله تعالى العديد من الديانات ولكن أتباعها ظنوا أنهم أحرار في الإعتماد على عقولهم لتغيير ولتعديل ما أُنزل إليهم لكنهم في الواقع إختلقوا لأنفسهم ديناً جديداً غير الذي شرعه لهم الله ، وما فعلوه يعارض كلياً الغاية التي من أجلها أنزل الله بها الدين.فما أنزله الله تعالى لا يحتاج إلى تعديل أو تحسين من البشر.

فأي تبديل أو تغيير يعني انحرافاً عن وحي الله، كما أن التبديل والتغيير يُبعد الناس عن الطريق السليم والحقيقي لعبادة الله.

وعلى ضوء ذلك فإن المعيار الأول ينص على أن الدين من عند الله.

إلا أن هنالك معايير أخرى:

فالمعيار الثاني: هو أن تكون تعاليم الرب في شكلها الأصلي من غير تبديل أو تحريف من البشر ولابد أن يكون هذا واضحاً فإذا جاء الدين من الرب فعلاً في شكله الأصلي ثم نالته أيدي البشر من التحريف والتغيير فإن هذا يكون خليطاً من دين الرب ودين البشر، وليس دين الله الخالص.

وعلى الرغم من وضوح هذه المقدمة المنطقية إلا أن كثيراً من الناس لا يتعقلونها وينقادون كالعميان وراء كتب وتعاليم لا يثبت التاريخ صحتها.

المعيار الثالث: أن لا يكون الدين نسخ بدين آخر بعده بمعنى أن الله قد ينزل وحياً ثم ينسخه بوحي بعده أو يرسل رسولاً ناسخاً لرسالة الذي قبله وعلى المرء أن لا يختار أتباع الدين المنسوخ ويعرض عن تعاليم الدين التي أمر الله بإتباعها.

وأن خرق هذا المعيار يناقض مبدأ الإستسلام لله تعالى وبذلك يذهب المرء على ما تريده نفسه لا على الذي أمر الله به.

وأن هذه المعايير الثلاثة صريحة وواضحة ولكن الكاتب يرى أن هنالك معياراً رابعاً : وهي أن العقائد الأساسيةو لهذا الدين لا بد أن تكون واضحة للبشر ولا تناقض الفطرة البشرية.

وأيضاً لا يتصور أن الرب الذي خلق هذا الكون وأعطى البشر القدرة على الفهم وأخذ الدروس والعبر ممن حولهم أن يطلب منهم بعد ذلك أن يؤمنوا بأمور لا يمكن فهمها بل وتُناقض مع ما تؤمن به النفس من الحق.

النبوة

اليهود و المسيحيون هم سيان في إدراك مفهوم النبوة ؛ أما بالنسبة للمسلمين فهم يرون أن محمدا صلى الله عليه و سلم – بأنه خاتم النبيين و هو الذي جاء بعد سلسله طويله من الأنبياء شملت إبراهيم و موسى و عيسى .

حقيقة النبوة :

إن الله تعالى قد إصطفى من خلقه الرسل و الأنبياء لتبليغ رسالته للناس ؛ فيوحى إليهم ما يشاء ثم يبلغون ما أوحي إليهم . وليس للرسول أن يبدل أو يحرف رسالته ؛ بل عليه أن يبلغها بأمانه و صدق وعلى من أرسل إليهم التسليم بما جاء به هذا الرسول يقول تعالى : ((و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)) [1].. و يصطفى الله تعالى من يشاء من عباده ليكون نبيا رسولا و هذا الإصطفاء في الواقع ليس عشوائيا البته إذا يقول الله تعالي : ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) [2]. معا ذلك فالله تعالى يصطفى من خلقه أناسا ذوى صفات متفرده من غيرهم إذ يقول : ((و ما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) [3]. و تؤكد هذه الآيه و مثيلاتها بشرية الرسل و أنهم بأشد البعد عن صفات الألوهية . لقد اصطفى الله الرسل من خلقه ومهمة الرسل أن يبلغوا الصدق الذي أنزله الله ويبينوه لكي يكونوا قد أعذروا إلى البشر إن لم يتبعوهم في رسالتهم، وبعبارة أخرى لن يكون الخيار لأي فرد إلا أن يذعن ويقبل ما جاء به الملك ثم لا يمهل، ولكن المراد عرض هذه الحقيقة التي يمكن للبشر إدراكها في سياق واضح صريح لا حياد عنه. فإذا ما أتت في هذه الصورة فمن أراد من الخلق اتباع هذه الحقيقة فسيتبعها، ومن أراد الإعراض عنها فسيعرض عنها. وبهذا يعرف من هم أهل لمحبة الله ورحمته ومن هم أهل لسخطه وعقابه.

---

[1] / سورة النساء، الآية: 64.

[2] / سورة الأنعام، الآية: 124.

[3] / سورة النحلي، الآية : 43.

لقد جاء الرسل بالهداية الواضحة مبشرين ومنذرين، ولو لم ترسل الرسل لصاح البشر قائلين لو أرسل إلينا رسولًا لاتبعناه، لذا قال الله – الذي يعلم ما كان وما سيكون – في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [1].

وبمجرد أن يأتي الرسل بالآيات البينات لا يكون هناك عذر للبشر أن يتخلفوا عن اتباعهم: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [2]، وكفي بهذه الآية واعظة لذوي الألباب.

علامات النبوة

تتبدى لنا بعض العلامات "غير المباشرة" للنبوة من خلال دراستنا لتاريخ الرسل. والعلامة الأولى للنبوة هي أن الرسول الذي يصطفيه الله لرسالته يجب أن يكون ذا شخصية لها احترامها وذا سمعة طيبة بين قومه قبل أن يشرفه الله بالرسالة، فلا يتوقع من شخص لم يكذب قط في حياته على أحد من الناس أن يكذب على الله، ويزعم كذبًا أنه قد تلقى وحيًا منه. ثانيًا: أن تتسم رسالته بالسمو والفضيلة، وأن تكون رسالته غير مناقضة لما جاءت به الرسل السابقين المعترف برسالتهم، إذ أن جوهر رسالة الله تعالى الأساسية بشأن حقيقة الكون والحياة لا تتغير من نبي إلى آخر. كذلك ألا يسعى ذاك الشخص المدعي للنبوة إلى نفع أو تحصيل أجر على دعوته، فلا يكن سعيه الأول لغرض دنيوي، بل يبلغ رسالة ربه طاعة وسعيًا في مرضاته. وأخيرًا أن نرى من هذا النبي انتصارًا روحيًا وإن لم يكن قد حقق انتصارًا سياسيًا، بمعنى أنه راض عن رسالته ولا يتخلف عنها بل مثابر عليها حتى موته، فلم نشهد نبيًا من الأنبياء الذين شُهد لهم بالنبوة أنه قد تخلف عن تبليغ رسالة ربه أو هجر عقيدته.

---

[1] سورة طه، الآية 134.

[2] / سورة النساء، الآية : 165.

أضف إلى ذلك أن الله تعالى يؤيد رسله بآيات فريدة– أي أشياء خارقة للعادة كدلالة على إرسال الله لهم، وكل هذه العلامات إنما هي من عدل الله ورحمته ولطفه، فالله يصطفي ويرسل رسله بهذه الكيفيات ليقيم الحجة على المعاند ويظهر جحوده لرسالة الحق، ولا يكتفي المولى تعالى بأن يرسل إلينا رسالة تتلاءم تمامًا مع طبيعة بشريتنا، بل أيضا يرسل رسلًا ليقيم عليهم الحجة إن لم يقروا برسالتهم. لذا يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [1].

و هذه الدلائل الخاصة التي ينعم الله بها على رسله تسمى "معجزات"، وبالطبع ينزع الناس في عصر "العلم" إلى التشكك في المعجزات التي سجلها التاريخ لنا، مع أننا لا نلمس شيئًا غير منطقي أو غير معقول في حدوثها. فإذا ما ابتدأنا بمقدمة أن الله قد خلق هذا الكون، وهي مقدمة قوية (كما رأينا من قبل)، فلا يصعب علينا أن نتفهم أن لله السلطة المطلقة في تسيير هذا الكون وبيده أن يبدل صنعه في أي وقت شاء لمن شاء. ونسمع إلى اليوم عن معجزات طبية أو حدوث حالات شفاء معجزة من أمراض مستعصية–وهي أشياء قد نعدم لها "تفسيرًا عقليًا". ولا يجرؤ أحد على إنكار هذه الأحداث "غير المفسرة"

وقد حدثت في الماضي بعض هذه المعجزات مثل انفلاق البحر الأحمر لموسى (عليه السلام) وإبراء المريض والأكمه على يد عيسى (عليه السلام)، وكانت هذه الآيات هي التي أيدت هؤلاء الأنبياء في دعوى النبوة لأنها أظهرت تأييد الرب وهدايته لهم. ولقيت جميع هذه المعجزات القبول ممن عاينوها، لكن مع مرور الزمن وغيابها عن الأعين بدأت الأنفس تتشكك في تلك القصص أو الإدعاءات وبدأت تأثيرات هذه المعجزات تخفت، لكن مع معرفة أن هناك أنبياءا آخرون يأتون لتجديد الرسالة، فلا يصبح هذا الأمر قضية كبيرة.

[1] / سورة الحديد، الآية25.

و لذا لما أرسل الله خاتم أنبيائه للبشرية كلها إلى يوم الدين أيده بمعجزة تغاير تمامًا تلك المعجزات– فهي المعجزة التي أثبتت أنها من عند الله، وأن لها تأثيرًا دائما. يقول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): "مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ إلا وَقَدْ أُعْطَي مِنَ الآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليه؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [1]. وبعبارة أخرى أن المعجزة الكبرى التي أوتيها محمد (صلى الله عليه وسلم) هي القرآن.

ومن ثم فإن المعجزة الكبرى التي أوتيها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ما زالت مشهودة ملموسة إلى يومنا. وقد أطلق القرآن تحديًا أبديًا أن يأتي أحد بشيء يشبهه، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2].

يظهر إعجاز القرآن في أوجه عدة؛ وقد ظل العرب الذين برعوا في اللغة على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) لأعوام عديدة يحاولون تحدي النبي في هذه المعجزة حتى أدركوا عجزهم في مجابهة فصاحة وبلاغة القرآن[3].

إن القرآن أكثر بكثير من كونه مجرد كتاب أدبي وحسب، بل يبرز إعجازه أيضًا في كونه ينبئ عن أشياء تتحقق في المستقبل، وفي دقته العلمية والتاريخية، وفي حفظه، وفي تشريعاته الحكيمة السمحة، وأثره الباقي في إصلاح وتغيير البشر وغير ذلك.

لقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أميًا، ومع ذلك اصطفاه الله لرسالته لأن أميته لم تكن عيبًا ينقص من قدر نبوته، بل كانت برهانًا على نبوته، إذ كيف يتأتى لأمي عربي عاش بعد عيسى بستة قرون أن يجيء بهذا الكتاب. ولقد أوحى الله إلى نبيه

---

[1] / رواه البخاري ومسلم.

[2] / سورة البقرة، الآية :23.

[3] / وسنبين لاحقاً أو جهاً جديدة من إعجاز القرآن لا تزال تُكتشف حديثا.

(صلى الله عليه وسلم) مثلًا قصص الأنبياء السابقين، ولم يكن النبي في بيئة يسهل فيها الاستزادة من تعاليم اليهود والمسيحيين[1].

ومع ذلك نرى أن قصص الأنبياء السابقين مسطرة بدقة متناهية، وهذا مما يثير الدهشة والعجب. إن كثيرًا من الناس يدركون أن الكتاب المقدس يحتوي على عبارات مستحيلة تاريخيًا أو ذات مفارقة تاريخية، في حين أن القرآن يخلو من مثل هذه الإشكاليات –وهي آية أخرى على أن هذا القرآن ليس من صنع البشر. لقد ذكر فتوحي والدرغزيلي في مصنف ضخم لهما العديد من الأمثلة المحتوية على أخطاء تاريخية في الكتاب المقدس، وقد خلا القرآن منها على الرغم من اتحاد القصص والأحداث .

حاجة الناس إلى الرسل

إن نعمة إرسال الرسل إلى البشر لمن أجل نعم الله، يقول الله تعالى واصفًا إرسال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [2].

ولا ريب أن البشر في حاجة شديدة إلى هذه النعمة من الله، فهم في حاجة إلى رؤية مثال عملي على قدرة الفرد على نيل رضا الله في حياته، وهم في حاجة ملحة أيضًا إلى ذاك العلم الذي أتت به الرسل.

ولو شاء الله لأرسل رسالته مكتوبة على جانبي جبل، لكن تظهر حكمته ونعمته تعالى في إرسال الرسل للبشر بصورة مضاعفة:

(1) فبإرسال الله رسلًا من البشر بدلًا من الاتصال بهم عن طريق كلمات مكتوبة يكون الله قد نقل رسالته من الجانب النظري إلى العملي، فممارسة الرسول لرسالته تتيح للبشر

---

[1] / أُنظر فتوى لوي فتوحي وشحاته الدرغزيلي،(التاريخ يشهد لعصمة القرآن: الفترة الأولى من تاريخ بني إسرائيل) (history testifies to the infallibility of the quran in early history of the children of Israel)، نيودلهي الهند: آدم للطباعة والنشر، 1999م،ص 247-248.

[2] / سورة الأنبياء، الآية : 107.

رؤية التطبيق العملي للهداية، فهداية الله لا تتسم بالغموض وليست مبادئ عامة تتشتت أفهام الناس فيها، بل هي رسالة واضحة في شكل عملي ملموس مدعومة بالأمثلة كي يتبعها البشر.

(2) على الرغم من كون الرسل أفضل البشر، لكنهم لا يتخطون حيز البشرية، فهم أمثلة من البشر كي يتبعها الآخرون، فبتطبيقهم للتعاليم الإلهية يعلم الناس أن تلك التعاليم قابلة للتطبيق وأن بقدرة البشر اتباعها، فلا يظن ظان أن الصلاح فوق مقدور البشر بل هو في مقدورهم، ويدل على ذلك تجسده في الرسل الذين هم بشر.

وكما بينا سابقًا أن البشر في حاجة ملحة إلى العلم الذي أُرسل به الرسل، وهذا العلم يمكن تقسيمه إلى نوعين من العلوم وكل منهما لا يستغني عنه البشر.

النوع الأول هو علم ما فوق الإدراك البشري أو ما تطلق عليه النصوص الإسلامية "الغيب". ونكرر ما قلناه سابقًا من أن هذه الأمور هي خارج نطاق إدراك البشر، فلا تُعلم إلا عن طريق الوحي من الله، وتشمل العلم بالله وصفاته وغرض الخلق، والقدرة على التمييز بين الخير والشر، وما يحدث للبشر بعد الممات في الآخرة إلى غير ذلك.

و لا تقتصر هداية الله للبشر على هذه الأشياء وحسب، فهداية الله التي أرسل بها أنبياءه إلى البشر تحمل في طياتها هداية للبشر في الأمور الدنيوية أو الحياتية. فباستثناء الأمور الحياتية الفنية أو التقنية، يحتاج البشر إلى الله للهداية الإلهية في كل الأمور كحاجتهم لهذه الهداية في الأمور الغيبية. فالله الخالق المبدع هو المتفرد بعلم ما ينفع البشر. يقول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [1]، وهذه النقطة تحتاج إلى مزيد من البسط فهي تضرب في جذور العلمانية التي تهيمن على فكر العالم اليوم.

[1] / سورة الملك، الآية:14..

لقد حاول البشر أن يشيدوا أنظمتهم الاقتصادية والسياسية والقوانين الدولية . وفي قيامهم بهذا عليهم أن يقروا أنهم يحاولون صنع ما هو أبعد من قدرتهم، حيث فاق ضرر ما أتوا به المنافع التي حصلوها، وإن كان صادرًا عن حسن نية.

وأول ما يتبادر إلى الذهن في جانب الاقتصاد هو انهيار نظريات الاشتراكية والشيوعية. وهذا يدفعنا إلى النظر عن كثب إلى الرأسمالية والمفارقة بين حقيقتها وما يُفترض أن تكون عليه.

بل إن الأدهى و الأمر من ذلك إنها أدت إلى خلق عالم من الإستغلال حيث يزداد الغني غنى، ويزداد الفقير فقرًا.

وعمومًا، فإن القوانين الوضعية في مقابل وحي الرب عرضة لمشكلات خاصة عديده منها:

أولا : البشر غالبًا ما يتأثرون بأهوائهم ؛ ولو كان البشر قادرين على أن يسموا بأنفسهم عن الشهوات، فعليهم أن يتفهموا الفرق الشاسع بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

فعلماء الإجتماع ؛ ليس لديهم القدره الكافية لإختبار نظرياتهم على سلوكيات الإنسان فى ظل الظروف المختلفه .

لذا يشكك بعض العلماء في قدرة هذه العلوم على تحديد الحقائق ، ولذا يقول الله في قرآنه مبينًا قدرة البشر المحدودة في هذا الشأن: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [1].

فإذا ما تقرر هذا ظهرت حاجة البشر لهداية وعلم الخالق الذي برحمته أرسل هذه الهداية على أيدي رسله.

[1] / سورة الروم، الآية: 7.

و في الختام نقول إن القوانين العلمانية لا تؤثر في أنفس البشر كما يفعل الوحي، فليس للقوانين الوضعية تأثيرٌ أخلاقيٌ، وبعبارة أخرى لا تستطيع تلك القوانين أن تدفع الفرد إلى الالتزام بها إلا باستخدام القوة، لكن التمسك بالشرائع التي جاءت بها الرسل توجهها الدوافع النفسية لإرضاء الله تعالى وتجنب سخطه.

وخلاصة القول، أنه لا مفر من الحقيقة التي تقر بأن البشر في حاجة ملحة للعلم الذي أتت به الرسل، وهم أيضا في حاجة ملحة للنماذج التي جسدتها الرسل.

مبادئ دعوة الرسل :

روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال أن الله أرسل 124,000 نبيًا. وأخبر الله في كتابه أنه تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا) [1].

و معا ذلك فإن كل الأنبياء و الرسل الذين أرسلهم الله تعالى فإنهم كانوا على طريق و منهج واحد كما أخبر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) أن الله سيهديه لما كان عليه الأنبياء السابقون من الدين قائلًا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [2].

لذلك فالمسلم يؤمن بكل هؤلاء الأنبياء والرسل ويوقرهم ولا يفرق بين أحد منهم لأن الله أرسلهم جميعًا، وهم يؤمنون بحقائق أساسية واحدة ويدعون إلى نفس الغاية، ومن ثم فلا يحق لأحد أن يقول أنه سيؤمن ويوقر بعضهم ثم يكذب ولا يوقر الآخرين، فهذا يؤدي به

[1] / سورة النحل، الآية 36.

[2] سورة الشورى ، الآية: 13

إلى ألا يوقر ربه الذي أرسلهم جميعًا، وبذا يكون متناقضًا إذ كل الأنبياء قد أتوا برسالة واحدة، وهم – كما وصفهم النبي (صلى الله عليه وسلم) – إخوة [1].

ولذا يجب الإيمان بجميعهم وتوقيرهم حق التوقير، يقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 136) . وخلاصة القول، أنه طالما أن الذي أرسل هؤلاء الأنبياء والرسل هو إله واحد أحد وحقيقة الوجود واحدة لا تتغير فهذا يوحي بأن رسالاتهم كانت واحدة ومتطابقة في جوهرها.

ومن خلال دراستنا للقرآن يمكننا أن نتتبع المبادئ الأساسية لدعوة جميع الرسل، فلقد دارت رسالتهم حول النقاط الثلاثة التالية:

1- الدعوة إلى الله مع عرض الأدلة البينة على أنه الوحيد المستحق للعبادة، ودعوة البشر إلى الإذعان لله وترك كل ما يعبد سواه من آلهة باطلة ؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: 36).

2- بيان أن هناك سبيلاً محدداً للوصول لمرضاة الله تعالى وتزكية النفس ؛ التى تسمو إليها روح الإنسان بل و أن كل أمة من الأمم قد جاءتها هذه الدعوة إلى سبيل الهداية، يقول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48). وعلى الرغم من أن الأنبياء جميعًا قد جاءوا بنفس هذا السبيل الأساسي والشرائع العامة المتطابقة كالأمر بالصلاة والنهي عن الشرك وحرمة الزنا والقتل وغير ذلك، فلا يعني هذا أن جميع شرائعهم العملية كانت متحدة ولم تكن مختلفة، فعموميات الشرائع كانت متحدة لكن تفصيلاتها هي التي اختلفت. فلقد اقتضت رحمة الله وحكمته أن يرسل العديد من الرسل

[1] / مقتبس من جمال بدوي" كتاب محمد في الإنجيل" " Muhammed in the Bible" ،هاليفاكس كندا، مؤسسة المعلومات الإسلامية، بدون تاريخ، ص 40

لبيئات وأزمنة مختلفة. وهذا التنوع في بعض شرائعهم لا يعني التعارض في كنه الرسالة الأساسية أو نهجهم الذي انتهجوه.

3- بيان جزاء من قبل الرسالة وعبد الله تعالى ، وعاقبة من رفض الرسالة التي تأمره بالخضوع لله وعبادته. وفي هذا الشأن أخبر الرسل البشر بالحياة بعد الممات والبعث ويوم القيامة والثواب والعقاب من عند الله. وقد اختص الله تعالى نفسه بتفصيلات هذه الأمور فلا تعرف إلا من خلاله، ولم يعذب الله أمة من الأمم حتى يبينها لهم. ومن ثم فإن الرسل جميعًا جاءوا مبشرين لمن قبلوا الإيمان ومنذرين الذين أعرضوا بالعواقب الوخيمة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [1].

هذه النقاط الثلاث الأساسية المذكورة هي التي دارت حولها الرسالات بل ولقد جاهد الأنبياء من أجل نشر رسالتهم، ليؤدوا ما اؤتُمنوا عليه وبلغوا الرسالة وبينوها. فإذا ما أُدركت هذه النقاط فلا مجال إذًا للجدال أو الاعتذار، فالنبي قد بلغ رسالته والأمر موكول الآن إلى البشر.

التبشير بالنبى محمد " صلى الله عليه وسلم

في الكتب المقدسه السابقة:

قد بين فيما ذكر سابقا أن جوهر الرسالة عند جميع الأنبياء واحد. وعلاوةً على هذا، فمما لا ريب فيه أن دور بعض الأنبياء السابقين، إن لم يكن جميعهم، كان هو التبشير ببعثة

[1] / سورة الأنعام، الآيات: 48-49.

النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) . يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ...﴾ [1].

وبناءً على هذه الآيات القرآنية وغيرها، أدرك العلماء المسلمون أنه لابد وأن هناك بعض الدلائل على بعثة النبي ((صلى الله عليه وسلم)) في ثنايا ما تبقى من الكتب المقدسة الأصلية التي كانت بين أيدي اليهود والمسيحيين. ولقد وجدت العديد من الآيات التي تبدو وكأنها تشير بصورة مباشرة إلى النبي محمد (وهناك العديد من الكتب التي تناولت هذا الموضوع) . وحتى لا نستطرد في الحديث هنا، فسوف نناقش مثالين فقط. والفقرة الأولى هنا مقتبسة من العهد القديم حيث يتحدث موسى فيقول: "قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه"[2].

ولعل السؤال الأول الذي يطرح نفسه هنا هو من هم "إخوة" إسرائيل؟ طبقًا للمعجم العبري للإنجيل فإن المصطلح "إخوة" يشير إلى "تشخيص لمجموعة من القبائل التي كانت تعد من ذوي القرابة الشديدة للإسرائيليين. والمجموعة التي ينطبق عليها تمامًا مثل هذا التوصيف هي أحفاد إسماعيل بن إبراهيم الأخ غير الشقيق لإسحاق. والعرب عامةً ومحمد (صلى الله عليه وسلم) خاصةً ينحدرون من نسل إسماعيل.

والأمر الثاني أن النبي القادم قد وُصف بأنه "مثلك" بمعنى أنه يكون شبيهًا بموسى. والآن هناك بعض المسيحيين يدعون بأن هذه الفقرة إنما تشير إلى عيسى[3]. ومع الوضع في الاعتبار أن المسيحيين لا يعتبرون عيسى مجرد نبي، فإن هذه الإشارة غير محتملة على

[1] / سورة الأعراف، الآية :157.

[2] / سفر التثنية، الإصحاح 18: 17-19.

[3] / في أنجيل متى ، 17:12 يؤكد عيسى أن إيليا قد بُعث بالفعل.

الإطلاق. ومع ذلك، فقد وضع جمال بدوي جدولًا يوضح فيه أوجه الشبه بين موسى ومحمد (وأوجه اختلاف عيسى عنهما). والذى يتبدى لنا فى الجدول هى طبيعة ميلادهم و حياتهم الأسريه و طبيعة وفاتهم رضى الله عنهم بل و مهنتهم و هجراتهم الإضطرارية و نتائج مواجهتهم معا الأعداء و طبيعة تعاليمهم و بوادر قبولهم كزعماء في قومهم .و قد كان النبى صلى الله عليه و سلم أكثر قربا من هذه النقاط إلى موسى عليه السلام و ابعدها من عيسى عليه السلام . ثم تستكمل الآيات السابقة فتقول: "وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به" وهذا وصف بالغ الدقة للنبي محمد في نقله للقرآن الكريم. فلقد وضعت الكلمات في فمه عن طريق الوحي المباشر عن طريق جبريل، حيث كان محمد (صلى الله عليه وسلم) يكرر حرفيًا ما كان يوحى إليه ويُؤمر به حتى استكمل الوحي.

وفي العهد الجديد يمكننا أن نجد الفقرات التالية من إنجيل يوحنا "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا اطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد"[1].

وهذه الأخيره تحدثت عن المعزي المستقبلي و روح الحقيقه و قدوم من لا يستطيع القدوم فى حضور عيسى .

ولكن من هذا الذي سوف يأتي بعد المسيح ولا يمكنه أن يأتي في حياته؟ يفسر المسيحيون هذه الفقرات على أنها تشير إلى روح القدس. إلا أن العقيدة المسيحية توضح أن الآب والابن والروح القدس أجزاء مكونة للثالوث، ومعًا يشكلون كيانًا واحدًا. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يكون الجزء حاضرًا والآخر غائبًا في الوقت نفسه؟ إن هذا يخالف تمامًا العقيدة المسيحية. وعلاوةً على هذا، فإن الجزء التالي من المقطع الأخير المقتبس "فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم

[1] / (يوحنا، الإصحاح 14: 15-16 ، (يوحنا، الإصحاح 16: 7-8) و (يوحنا، الإصحاح 16: 12-13).

بـأمور آتيـة" لا يعـد سـوى وصـفًا رائعًـا للنبـي (صـلى الله عليـه وسـلم) وكيـف تلقـى وأبلـغ الوحي عن الله. وهنـاك مجموعـة أخيرة من الآيـات سوف نضـعها بين يدي القارئ حيث يعتقد كاتب السطور أنها في الواقع لا تتطلب أي تعليق سوي التأكيد على أن ثمة نبي عظيم الشأن سوف يُبعث: "وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح فسألوه إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب لا"(1). فمن النبي الذي كان يتوقعه يوحنا واليهود؟

وهذه الأمثلة السريعة كافية، ويمكن للقارئ أن يراجع الأعمال الأخرى الأكثر تفصيلًا إن أحب. ومع هذا، فلو أن هذه الإشارات تشير إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كما يعتقد العلماء المسلمون، فإن من قبيل الإخلاص للنبي الذي صرح بهذه الاشارات أساسا أن يتبع المرءُ النبي الذي أُشير إليه.

خاتم الأنبياء

بعد أن بعث الله العديد من الأنبياء، بعث النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) . وُلد محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد حوالي 570 عامًا خلت لمولد المسيح عيسي، وقد ولد في مكة في شبه القارة العربية. وكان أهل مكة يدينون بعبادة الأصنام، كما كان في مكة بناء شيده نبي الله إبراهيم ونبي الله إسماعيل. كان هذا البناء – الذي عُرف باسم الكعبة – مخصصًا لعبادة الله الإله الحق الأحد، ولكن المشركين من العرب كانوا قد أحاطوه بأصنامهم. وقد عاش محمد (صلى الله عليه وسلم) بينهم لكنه لم يختلط معهم قط في عبادة الأصنام، كما عرف بأمانته وكان يلقب بالصادق الأمين.

---

[1] / (يوحنا، الإصحاح 1: 19-20).

ولما بلغ أربعين سنة تلقى محمد (صلى الله عليه وسلم) أول وحي. وعلى الرغم من أن هذا كان مروعًا في بداية الأمر له إلا أنه أدرك المهمة التي بعثه الله بها. ولقد سارع المشركون من العرب برفض رسالته والتي كان جوهرها أن لا معبود بحق إلا الله. وعلى الرغم من أنه كان يعرف بالصادق الأمين إلا أنهم كذبوه وسرعان ما بدأوا حملة ضارية لتعذيب من آمن بمحمد. وبعد ثلاثة عشر عامًا من الدعوة في مكة أُرغم النبي نفسه على الخروج منها إلى المدينة التي كان له أتباع فيها. كما نصبه أهلها زعيمًا للمدينة. ولكن مشركي مكة لم يهدأ لهم بال وحاولوا سحق الدين الجديد عن طريق الحرب. وعلى الرغم من ذلك، فإن عدد جماعة المسلمين القليل قد نمى وأصبح قادرًا على الصمود أمام المشركين . وفي مدة لا تتجاوز العشرة أعوام، قاد محمد (صلى الله عليه وسلم) جيشًا إلى مكة وفتحها في نصر لم ترق فيه نقطة دم واحدة. وبهذا انتصر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وبدأ في الانتشار في العالم .

وعلى مر الزمان فقد أرسل الله عز وجل العديد من الأنبياء و معا ذلك فإن الله تعالى قد إختتم لنا الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم بل و بالرساله الخاتمة و هذا الرسول سيكون بمثابة رسول كل لبشرية من بداية بعثتة حتى يرث الله الأرض و من عليها إلى يوم القيامه و لا ولن يكون هنالك و حي و لا رسول آخر لتغيير ما أنزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فإن الرسالة المحمدية ستختلف عن سابقاتها في :

-أولا : نزل الوحي على آخر الأنبياء و المرسلين و حفظت الرساله بنسختها الطاهرة الأصلية و ليس بمقدور أيا كان أن يغيير أو يحرف ما جاء في الرسالة .

-ثانيا : كان لآخر نبي آية مختلفه عن باقي الأنبياء لأن هذه الآيه ببساطة لا تشمل فقط من كانوا يعيشون في زمن النبي بل تتخطاها إلى من يأتى بعدهم من الناس .

–ثالثاً: إن خاتم الأنبياء ببساطة ليس مرسلا إلى قوم محددين من البشر بل في الحقيقة إنه مرسل لكافة الخلق بالرغم عن إختلافهم عن بعضهم البعض إلا أن نبيهم واحد ؛ و ببعثة خاتم الأنبياء فإنه يضع حدا لتتابع و تسلسل الرسل بل و تكون الرسالة الخاتمة هي أم الرسالات لكافة البشر .

– رابعاً : إن شرائع و تعاليم هذه الرسالة الأخيرة وجب عليها أن تتكيف معا زمان و مكان الناس

بل و أن تكون مرنه و ملائمه و ذات يسر لكل ظروف البشر إلى قيام الساعة .و على ضوء هذه النقاط الاربع يستبين لنا أن الرساله المحمديه هى خير الرسالات .و قد تحدثنا عن الحفظ المضبوط للقرآن الكريم و السنه النبوية و على طبيعة الحال فإن القرآن الكريم هو نفسه معجزة الرسول صلى الله عليه و سلم ؛ لوكما ناقشنا سابقا فإن القرأن هو المعجزة الكبرى التى تعيش معنا إلى يومنا هذا . وأما فيما يتعلق بالعنصر الثالث، فلقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو النبي الوحيد الذي أعلن أنه لم يبعث فقط لقوم بعينهم ولكنه بعث لجميع شعوب العالم المختلفة. و على هذا فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، ويقول في آية أخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2]. ولقد أكد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أيضًا على أنه قد تميز عن الأنبياء السابقين بأمور خمسة وكان الأمر الخامس منها هو "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".

---

[1] / سورة الأعراف ، الآية :158.

[2] / سورة سبأ، الآية: 28

وأخيرًا، عندما يدرس المرء التشريعات التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه يجدها تتمتع بعنصر المرونة الذي من شأنه أن يتيح لها أن تكون قابلة للتطبيق في يومنا هذا كما كانت في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ فما يحتاج إلى أن يكون ثابتًا للأبد تجده ثابتًا في الشريعة الإسلامية وما احتاج إلى المرونة تجده مرنًا. وعلى سبيل المثال، في التعاملات التجارية تجد أن الربا محرم للأبد؛ و علاوةً على ذلك فإن وضوح الإرشادات العامة، وبالتالي يصبح منهج الهداية واضحا في أنه حالما تتطور وتنشأ أشكال جديدة من التعاملات التجارية كما في العصور الحديثة فإن المرء يكون بمقدرته أن يحدد ما هو المقبول منها طبقًا للإرشادات الإسلامية وما لا يعد مقبولًا. ومن ثم فلقد برهنت الشريعة الإسلامية على إمكانية تطبيقها على ما يربو على 1400 سنة، وأنها طبقًا للعقيدة الإسلامية ستظل قابلة للتطبيق حتى يوم القيامة. ولقد قضى الله أن النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) سوف يكون رسوله الخاتم. يقول الله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[1].

كما قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) " وبعثت إلى الناس كافة وختم بي النبيون" [2] وقال أيضًا "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي".

و بهذا جاء أخيرًا النبي الذي أعلن صراحة أنه خاتم النبيين فلا نبي بعده، ولقد ثبت صدق رسالته وصدقه هو أيضًا، وإذا خلص المرء إلى وجوب تصديق النبي (صلى الله عليه وسلم) أو إلى أن القرآن حق فإنه يخلص إلى الإيمان بهذه القضية أيضًا. وبناءً عليه، فإنه لا يحق لأحد أن يؤمن بالأنبياء الآخرين بينما لا يؤمن بالنبي محمد، كما لا

[1] / سورة الأحزاب، الآية: 40

[2] / رواه البخاري ومسلم.

يحق لأحد أن يقول أن محمدًا صادق لكنني "أفضل أن أظل أتبع عيسى أو موسى بدلًا منه". ومن الناحية المنطقية لا يتوقع أحد أن يقبل الله هذا منه، فلقد أرسل الله رسوله الخاتم لكي يؤمن الناس به ويتبعوه حيث أبطل وألغى ما تبقى من تعاليم الأنبياء السابقين. ويصف الله هذا النهج في القرآن بقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾[1].

و لقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار"، بل ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أحدًا من أصحابه يومًا قائلًا "لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا إتباعي"[2].

و باختصار، فإن هناك من الإشارات ما تدل على قدوم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل بعثته كما أن صدق وأمانة النبي أمر لا ريب فيه، وقد ثبت حفظ الله للكتاب الذي أرسله به، كما أن جميع الدلائل تشير إلى نبوته، فيجب الإيمان بما جاء به باعتباره نبيًا. ولقد أعلن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه خاتم الأنبياء، وقال أن البشرية جمعاء يجب عليها أن تختار اتباعه، فهذا هو الاختيار الذي يواجه الناس أجمعين ومن المؤمل أن يتخذ الناس القرار المنطقي الصائب.

---

[1] / سورة البقرة، الآية:91.

[2] / رواه أحمد والدارمي.

الإسلام و " الإيمان"

تعريف الإسلام :

الإسلام لغة ؛ هو مصدر الفعل [أسلم]، والذي يعني "أذعن وانقاد"، ومن ثم فإن الإسلام هو فعل الاستسلام والانقياد، وأما "مسلم" فهو اسم الفاعل من الفعل الذي يعني "أسلم". وبناءً عليه فإن المسلم هو من ينقاد أو يذعن.

ومن الناحية الاصطلاحية فإن كلمة الإسلام لها ثلاثة استخدامان بارزان: (1) مصطلح يستخدم للإشارة إلى دين الله الحق منذ بدء الخليقة؛ (2) مصطلح يستخدم في يومنا هذا للإشارة إلى الدين الذي جاء به خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) .

الإسلام دين جميع الأنبياء

لقد تعرفنا على مفهوم الإسلام من الناحية الإسلامية بأنه " الطاعة و الإنقياد الحق لله الواحد الديان "

وبناءً عليه، فإنه بموجب هذا المعنى كان الإسلام هو دين جميع أنبياء الله، وفي حقيقة الأمر فلقد كان هو أيضًا دين جميع أتباعهم. وبعبارة أخرى، فإن كل مؤمن حق منذ عهد آدم وحتى آخر مؤمن على ظهر الأرض يؤمن بالإسلام ويعد مسلمًا. أضف إلى هذا أنه الدين الوحيد الذي أمر الله البشرية باتباعه. ومن ثم فإن الإسلام هو الدين الوحيد عند الله. يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [1]. كما يقول الله أيضًا ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2].

---

[1] / سورة آل عمران، الآية: 19.

[2] / سورة آل عمران، الآية: 85.

و يوضح الله تعالى في عدة مواضع في القرآن أن دين وعبادة جميع الأنبياء كان الإسلام. وعلى سبيل المثال، يقول الله تعالى على لسان نوح بعد أن أوضح حقيقة إيمانه لقومه ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]. كما إن إبراهيم عليه السلام كان ايضا مسلما و الذى كان الغرب غالبًا ما يطلقون على إبراهيم "أبو التوحيد"، ومما لا ريب فيه أن إبراهيم كان موحدًا خالصًا وأحد الذين أسلموا أنفسهم لله على وجه اليقين (بمعنى أنه كان مسلمًا حقًا)، لكن على الرغم من هذا لم يكن إبراهيم بأي حال من الأحوال مؤسس التوحيد. فلقد كان التوحيد دين آدم ودين جميع المؤمنين الصادقين مثل نوح الذي بعث بين عصري آدم وإبراهيم. ولقد كان الإيمان بربوبية الله وحده والاستسلام له دائمًا ركنًا من أركان دين الله الحق . و لقد كان موسى أيضًا مسلمًا يتلقى الوحي من عند الله، مسلمًا نفسه كليًا لله وحده وآمرًا قومه بالشيء نفسه. فموسى على سبيل المثال لم يكن لينكر نبوة أحد الأنبياء وهو عيسى كما فعل اليهود، ولم يكن موسى لينعت النبي عيسى بمختلف أنواع الأوصاف غير اللائقة التي نعته بها اليهود. و لقد كان عيسى عليه السلام نبيًا من أنبياء الله الذين اتبعوا الإسلام وأسلموا لله وحده، وقد علم الدين للذين جاءو بعده من أتباعه.

كما أن عيسى عليه السلام كان بشرًا شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء الآخرين، ولم يدع قط أنه إله أو نصف إله. وفي حقيقة الأمر أوضح الله تعالى بما لا يدع مجالًا للشك أن عيسى لم يطلب من أحد أن يتخذه إلهًا .

و من ثم فإن أخوة الإسلام ورباط الإيمان الحق يمتدان ويتصلان من آدم إلى نهاية الزمان، ويستوعبان جميع الأماكن والشعوب، والمؤمنون بحق هم من يحب بعضهم بعضًا، ويتعاونون فيما بينهم وهذه بلا أدنى ريب الأخوة المباركة التي لا تضاهيها أخوة.

[1] / سورة يونس ، الآية 72.

وعلى وجه الدقة، يؤمن المسلمون بحق على مدى العصور بجميع الأنبياء، فهم يناصرونهم ويذبون عن مكانتهم، وتقع مسؤولية الدفاع عن الأنبياء على عاتق أتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في يومنا هذا على وجه الخصوص. وأما معتنقي العقائد الأخرى فلا يشعرون بوخز الضمير إذا ما تحدثوا بطريقة غير لائقة عن أنبيائهم أو سخروا منهم، ناهيك عن الأنبياء الذين ينكرون نبوتهم. ولذلك فإنه يبدو أن أتباع محمد فقط هم المستعدون للوقوف موقف الذب عن أعراض هؤلاء الأنبياء الشرفاء. ولا يكاد المرء يجد مسلمًا تقيًا يتحدث بطريقة مسيئة عن إبراهيم أو إسحاق أو موسى أو عيسى أو أي نبي من الأنبياء، بل على النقيض من ذلك، فهم يوقرون ويجلون ويحبون جميع الأنبياء وينزلونهم منزلتهم التي يستحقونها.

الإسلام: دين النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

قبل عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان بوسع المرء أن يقول أنه كانت هناك صور متعددة من الإسلام بمعنى أنه كان لكل قوم نبيهم الذي يتبعون تعاليمه، وكانوا بذلك على صراط الإسلام، وكان إذا جاءهم نبي جديد من سلسلة الأنبياء المتصلة لم يكن أمامهم خيار إلا اتباع النبي الجديد. وكما أوضحنا سابقًا فإن من كان ينكر نبوة آخر أنبياء الله لم يكن ليعد مستسلمًا لله بحق ولو لم يكن مستسلمًا لله بحق فهو لا يعد "مسلمًا".وبناءً عليه فإنه بعد عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أضحت هناك طريقة واحدة مقبولة من العبادة والاستسلام لله وهي: الصراط الذي دعا إليه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فهذا هو الصراط الوحيد الذي يمكن أن يوصف في يومنا هذا على أنه "الاستسلام لإرادة الله". وأي فرد لا يؤمن بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بغض النظر عن عدد الأنبياء الآخرين الذين يؤمن بهم لا يعد مستسلمًا لله ولا يعتبر مسلمًا. و من المثير للاهتمام أن نلحظ أن الدين الوحيد الذي لم يتغير "الاستسلام لله" أو الإسلام هو دين خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم). وتسمى الأديان الأخرى المعروفة

بأسماء أفراد أو شعوب أو أماكن. وطبقًا لمايكروسوفت إنكارتا (Microsoft Encarta) فإن مصطلح اليهودية لم يكن موجودًا في اللغة العبرية القديمة، والكلمة تشير إلى يهوذا. وبلا أدنى ريب تسمى المسيحية باسم المسيح تمامًا مثلما تسمى البوذية باسم بوذا. ويرتبط اسم الهندوسية بالمكان الذي هو هندستان ولكن اقتضت حكمة الله ورحمته أن يكون اسم الدين الحق الوحيد للاستسلام لله الذي هو دين جميع الأنبياء محفوظًا للإشارة إلى بعثة خاتم الأنبياء الذي بعثه الله للبشرية جمعاء. وبإختصار، فإن الخيار الوحيد المتبقي لنا في يومنا هذا لكي نسير على صراط الإسلام ونتبع نهج جميع الأنبياء السابقين هو اتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) . كما ذكر فى حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) عن موسى " لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي".

إن الدعوة عامة للجميع لكي يتبعوا هدي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث بالغ الدلالة أن بعض الملائكة أتت له وهو في نومه:

(جاءت ملائكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم، فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها. قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس) [1]. والأمر في بساطته هو: أن هناك من يرفض أن يتبع النبي، ومن دواعي الأسف وجب عليهم تحمل عواقب اختيارهم.

[1] / رواه البخاري.